معوقات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر وسبل مواجهتها

تأليف الدكتور

أحمد حسن سيد غنيم

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغُرُّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الدعوة إلى الله تعالى رسالة الأنبياء والمرسلين وهم أشرف الخلق وأكرمهم على الله تعالى الذين اختارهم لهداية البشر ، وهي أيضاً شيمة الدعاة والمخلصين ، وشعار الهداة المرشدين ، وحلية العاملين والوعاظ الناهين ، والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وقيامهم بالدعوة أعظم تشريف لهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [1].

وقد امتدح الله جل وعلا عباده الداعين إليه في آيات الذكر الحكيم ، ورتب الثواب الجزيل على هذا الأمر فقال سبحانه: " ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الناس إلى الدعوة إلى الله تعالى : " ﴿بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ " [3].

وقال عليه الصلاة والسلام (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [4].

إن الدعوة إلى الله تعالى رسالة الأمة الإسلامية التي أخرجها الله لها ، وهي مجدها وشرفها وعطاؤها الأعظم للإنسانية جمعاء ، كما قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

---

(1) سورة يوسف الآية رقم : ١٠٨ .

(2) سورة فصلت الآية رقم : ٣٣ .

(3) صحيح البخاري- جـ٣ - صـ١٢٧٥ - دار ابن كثير اليمامة بيروت ، تحقيق د مصطفى ديب البغا - الطبعة الثالثة .

(4) صحيح مسلم - جـ٤ - صـ٢٠٦٠- دار إحياء التراث العربي بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

والعالم كله في أمس الحاجة إليها ولن يرى النور ولن يستقيم أمره العقدي والفكري والخلقي والاجتماعي إلا بها ، قال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(٢).

فالمقصود الأعظم والهدف الأسمى من الدعوة : هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به وينجوا من النار، وينجوا من غضب الله ، وهو إخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى ، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، وإخراج العاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ، هذا هو المقصود من الدعوة كما قال جل وعلا : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٣).

ومن هنا فإن العمل للإسلام واجب على الأمة الإسلامية بالضرورة لمواجهة تحديات العصر ، ومؤامرات أعداء الإسلام ، ولصد تيار المواجهات المادية والنزعات الإلحادية ، التي تهدد الوجود الإسلامي .

وإن مسؤولية العمل للإسلام من حيث هي واجب تكليفي شرعي ، تعتبر مسؤولية فردية ، فمن لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ، كما هي واجب جماعي من حيث مسؤولية الحركة التنفيذية.

والواقع أن تجمع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية يكون ضرورياً كلما كانت مهمة الدعوة جسيمة ، وتحتاج إلى جهود عظيمة مكثفة ، كما لو أريد نشر الدعوة في المجتمعات الوثنية الكافرة ، لتبليغهم الإسلام وتعليمهم أمور الدين الحنيف الذي جاء به نبي الإنسانية ومعلم البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران الآية رقم : ١١٠ .

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم : ١ .

(٣) سورة البقرة من الآية رقم : ٢٥٧ .

(٤) سورة يوسف الآية رقم : ١٠٨ .

هذا ... وكلما كانت الدعوة عظيمة وإلى أمر عظيم كانت المشكلات التي تواجهها أكبر والعقبات في طريقها أكثر وأخطر ، ويقاس نجاح مثل هذه الدعوة بمدى قدرتها على حل تلك المشكلات ومواجهة تلك العقبات ، ولاشك أنه لا أعظم ولا أكرم ولا أجل من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

لذا فإن في ميدان العمل الإسلامي اليوم مشكلات عديدة تتعرض لها الدعوة كما يتعرض لها الدعاة ... مشكلات في محيط الأسرة والمجتمع ، مع النفس ومع الجنس البشري ، في نطاق التنظيم والتخطيط،في دائرة التصور و التفكير...

هذه وغيرها من المشكلات أوجدتها بل فرضتها الظروف والأوضاع والمناخات غير الإسلامية التي تعيشها الدعوة والداعية في مجتمعات منحرفة لا تمت إلى الإسلام إلا بصلة الانتساب العفوي الموروث !!

و الداعية ... مضطر للعيش في مثل هذه البيئة ... فهي ميدان عمله الوحيد ... عليه أن يتفاعل معها ... يؤثر فيها ولا يتأثر بلوثاتها ... ومهمة خطيرة ودقيقة كهذه ينبغي أن يأخذ لها الدعاة كل أسباب الوقاية والحماية و المناعة ...

وإن من واجب الدعوة كذلك أن تكون دقيقة غاية الدقة ، واعية تمام الوعي ، مهتمة كل الاهتمام في تكوين دعاتها والمنتسبين إليها وفق مناهج سليمة محكمة تسلك لبناء الشخصية الإسلامية سبيل الواقعية ... فلا تفريط ولا إفراط ... ولا ترخص ولا تزمت ... ولا غلو ولا تساهل تحقيقاً للتوازن الفطري الصحيح بين عناصر الشخصية ، العقلية منها و النفسية والجسدية (٢).

هذا .. وإننا في هذه الدراسة سنبين إن شاء الله تعالى أهم المعوقات التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية ودعاتها فتمنع من تقدمها أو تحد من نفعها وتؤثر على سيرها وأثرها وفاعليتها، ثم نتعرف على سبل مواجهتها وأهم الوسائل للنهوض بالدعوة الإسلامية.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة : ففيها بيان للموضوع وأهميته وخطة البحث فيه .

(١) سورة فصلت الآية رقم : ٣٣ .

(٢) مشكلات الدعوة والداعية – فتحي يكن – صـ٥ – مؤسسة الرسالة .

وأما التمهيد: فهو بعنوان : بين يدي المعوقات .

وأما الفصل الأول : فهو بعنوان : معوقات متعلقة بالدعوة الإسلامية وسبل مواجهتها ، وتنقسم هذه المعوقات إلى قسمين :

١- **معوقات داخلية** : ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية من مختلف الجهات الداخلية التي تعرقل مسيرتها وتقف في طريقها حجر عثرة .

٢- **معوقات خارجية**: ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية من مختلف الجهات الخارجية التي تناوئ الإسلام وتعمل للقضاء عليه .

وأما الفصل الثاني : فهو بعنوان : معوقات متعلقة بالدعاة إلى الله تعالى وسبل مواجهتها ، وتنقسم هذه المعوقات إلى قسمين :

١- **معوقات ذاتية** : ونعني بها تلك المعوقات التي تتعلق بالدعاة أنفسهم.

٢- **معوقات خارجية** : ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعاة إلى الله تعالى من مختلف الجهات الخارجية التي تناوئ الإسلام .

وأما الفصل الثالث : فهو بعنوان : معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب وسبل مواجهتها ، وتنقسم هذه المعوقات إلى قسمين :

١- **قسم يعود إلى المسلمين أنفسهم** .

٢- **قسم يعود إلى الأوربيين**.

وأما الخاتمة : فقد تضمنت أهم النتائج المستخلصة من البحث .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به إنه سميع مجيب الدعاء

وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى وسلم وبارك الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدكتور
أحمد حسن سيد غنيم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

تمهيد
بين يدي المعوقات

إن طريق الدعوة إلى الله تعالى طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة الصديقين ، وهو طريق وعر شاق مليء بالعقبات ، وقد قص علينا القرآن الكريم قصصاً تدل على أنه لم يخل داعية سواء كان رسولا أم مصلحا من مواجهة هذه العقبات ، وفي الوقت نفسه توضح اختلافها من بيئة إلى بيئة ومن زمان إلى زمان كما تبين اختلاف العقوبة باختلاف المذنبين ، فلقد ذكر الله عز وجل بعض المعوقين وذكر ما أنزله بهم من العذاب ليكون ذلك ذكراً لمن كان له قلب ، فقال عز شأنه : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

ومنذ عهد النبوة وعلى مر العصور واجهت الدعوة الإسلامية تحديات شتى ولكن الجهاد الصادق في سبيل الدعوة ذلل تلك الصعوبات ، واستبقى الراية مرفوعة وحفظ كيان الأمة المعنوي والأدبي من الانهيار والتلاشي .

---

(١) سورة آل عمران . آية رقم ١١١ .

ويحسن بنا قبل أن نبدأ في بيان تلك التحديات أن نبين عدة أمور هي :

أولاً : أننا نريد بمعوقات الدعوة : مجموعة الأخطاء والعقبات التي يقع فيها الدعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية ، وتشكل عقبة أو مشكلة في طريقهم سواء أكانت هذه الأخطاء والعقبات في جانب المفاهيم الدعوية ، أم في جانب المناهج والأساليب والوسائل .

لأن الخطأ الصادر عن الداعية ليس كخطأ الرجل العادي ، فإن خطأ الرجل العادي قد يختص به ولا يتجاوزه ، أما خطأ الداعية في مفهوم أو منهج أو أسلوب أو وسيلة ، فإنه يتعدى أثره إلى الآخرين ، وقد تضر نتائجه بالدعوة كلها ، شعر بذلك أو لم يشعر ..! وقديما قيل : زلة العالِمِ زلة العالَمِ ، ومن هنا جاء التنبيه والتحذير من خطأ القدوة والأسوة بأساليب عديدة ، فقد قال تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً

كَرِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ... الآيات ﴾ [١].

وجاء في الحديث الشريف : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟! فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه " [٢].

ثانيا : لا يشترط في الأخطاء الدعوية والمعوقات حتى تُسمى مشكلات وعقبات أن تكون عامة منتشرة في جميع الدعاة – وإن غلب على طابع المشكلات الدعوية العموم – ويكفي في ذلك أن توجد في صفوف الدعاة ولو قلّوا ، أو يعاني منها المصلحون أياً كانوا ... ومن هنا : أبتدر مستسمحاً إخواني الدعاة الذين قد يعجبون لذكر أمر من الأمور في هذا البحث وعدّه مشكلة أو عقبة ، مبيناً أنه يكفي في ذلك أن ألحظ الخطأ في نفسي أو في بعض من أعرف من حولي ، راجياً ألا يُشغلوا في مناقشة إثباته أو رفضه عن دراسته ومعالجته مهما كان في نظرهم صغيراً ، فإن العناية به لاتخلوا من فائدة دعوية بإذن الله [٣].

ثالثا : أن تلك العقبات والصعوبات التي توجد في طريق الدعوة سنة كونية ، أرادها الله تعالى ليمحص المؤمنين وليعلم المنافقين ، ويميز الغث من السمين ، والعقبات في طريق الدعوة دليل على صحة المسيرة وسلامة الخطة ، فهي لازمة من لوازم كل دعوة صحيحة ، ولا يخلو منها إلا الدعوات الدعية والحركات المشبوهة .

إن العقبات في طريق الدعوة ظاهرة صحية كما نقول ، لأنها المعالم التي تدل على سلامة المسيرة والمشاعل التي تضيء الطريق ، فليست هناك رسالة سماوية ، ولا دعوة إصلاحية وجدت أمامها الطريق ممهداً ، وانقاد لها الناس من غير معاناة .

وكثير من الناس الذين غابت عنهم هذه الحقيقة ، يحسبون العقبات غضباً من الله تعالى ويظنون الصعوبات دليلاً على عدم رضا الله ، وهم في الحقيقة واهمون ،

---

(١) سورة الأحزاب الآيات رقم ٣٠ – ٣٤ .

(٢) صحيح مسلم – جـ٤ – صـ٢٢٩٠– دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة – محمد أبوالفتح البيانوني – صـ٣٤٦ وما بعدها بتصرف – مؤسسة الرسالة

ولو أنهم درسوا تاريخ الرسالات الإلهية ، وأمعنوا في النظر في مسيرة الدعوات الإصلاحية لتأكدت عندهم هذه الحقيقة .

يقول الأستاذ مصطفى مشهور [١]: لقد تعرض رسل الله والداعون إلى الله على مر الأزمان للإيذاء والتعذيب والقتل من أعداء الله بسبب قيامهم بواجب الدعوة إلى الله ، ولو أرد الله عز وجل أن يحول بينهم وبين هذا الإيذاء لفعل وهو بهم رءوف رحيم ، لكنه سبحانه لم يفعل وتركهم هكذا يتعرضون لصنوف الأذى والعذاب ، حتى نرى رسولنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه بعد إيذاء المشركين له في الطائف يدعو ويقول (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم بي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يترل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) [٢].

هل تركهم الله ولم يحمهم من أذى الكفار لأنهم أخطأوا ، وأن عليهم أن يتحملوا نتيجة خطئهم ؟

هل يعقل أو يقبل من أحد أن ينسب ما تعرض له الرسل والذين آمنوا معهم من أنواع البلاء إلى أخطاء صدرت عنهم أثناء سيرهم بدعوة الله ؟

إننا نقول على العكس من ذلك فإن تمسكهم بدعوة الله واستقامتهم على أمر الله هما سبب تعرضهم لهذا الأذى ، ولو أنهم انحرفوا أو فرطوا أو داهنوا لما تعرضوا للإيذاء والعنت .

قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [٣].

و قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ [٤].

---

(١) من فقه الدعوة – الأستاذ مصطفى مشهور – جـ١ صـ ٦٥ – دار التوزيع والنشر الإسلامية

(٢) كنز العمال – علاء الدين الهندي – جـ٢– صـ٢٩٦– دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى – تحقيق محمود الدمياطي – ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨ م .

(٣) سورة القلم . آية رقم ٩ .

(٤) سورة الإسراء . آية رقم ٧٣ .

إن أعداء الله وأهل الباطل لا يتركون دعوة الله تسير وتنمو بين الناس حتى تقوى شوكتها وتقضي عليهم وعلى باطلهم ، ولكن يبادئونها بالحرب بأسلوب التكذيب والسخرية والتشكيك ، وصرف الناس عنها ، فإن عجزوا لضعف حجتهم ومنطقهم لجأوا إلى البطش والتنكيل والتعذيب في محاولات فاشلة لصرف أصحاب العقيدة عن عقيدتهم ، ولتخويف غيرهم من الدخول فيها . ويصاحب هذا الأسلوب إلصاق الاتهامات الباطلة الزائفة بهم لتبرير هذا الظلم والعدوان خاصة إذا ملكوا كل وسائل الإعلام والتضليل في حين لا يملك أهل الحق فرصة دحض هذه الاتهامات الباطلة ، ومن هنا يصدق البعض أن المحنة نتيجة الأخطاء التي تضمنتها تلك الاتهامات الزائفة .

إن الدعوة إلى الله على مر الأزمان دعوة خير وسلام لا تواجه الناس بالقوة والقهر ليدخلوا في دين الله ، إنها تخاطب الفطرة والعقل وتدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته دون إكراه ، ولكن بعض الناس وخاصة ذوي السلطان من أهل الباطل يتنكرون لفطرتهم ويغلقون عقولهم فلا يسمعون ولا يستجيبون لداعي الله إذا دعاهم لما يحييهم (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ) [1].

وهم الذين يبدؤن بالعدوان على الدعاة إلى الله ويتآمرون عليهم ويكيدون لهم .

رابعا : إنه من التفريط أن تُهمل المشكلات والعقبات الدعوية ، ويُتجاهل أمرها حتى تتمكن في طريق الدعوة ويصعب علاجها ، كما أن من الإفراط أن تُضخم الأخطاء والمشكلات ، وتصور بالعقبة الكؤود التي يُعجزُ الناس حلُّها وتصحيحها ، فتوقع الناس في اليأس والقنوط فإنه ما من داء إلاّ وأنزل الله له دواء ، فعلى الدعاة أن يجتهدوا في معرفة الداء وتشخيصه ، ويبذلوا وسعهم في علاجه واختيار الدواء المناسب له ، فالأمر كله بيد الله ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2]

خامسا : إن سنة الله في الدعوات أن يتعرض المؤمنون والداعون إلى الله إلى الابتلاء والامتحان ، وقد يشتد بهم البلاء إلى درجة الزلزلة ، فالإيمان ليس قولاً باللسان أو شعارات تطلق أو مظاهر أو هتافات ، لكن لا بد من الامتحان

---

(1) سورة الأنفال . آية رقم ٢٢ .

(2) سورة العنكبوت ،آية رقم٦٩ .

والابتلاء ، ولا يأتي نصر الله إلاّ بعد اجتياز هذا الامتحان بنجاح ، وهاهي ذي آيات القرآن الكريم تقرر هذه السنة وتؤكدها :

قال تعالى : ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [4].

و قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [5].

وقال تعالى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ . [6].

و قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [7].

هكذا بكل وضوح نرى أن الابتلاء الذي تعرض له أصحاب الدعوات هو سنة من سنن الله لا تتبدل في الدعوات ، وليس بسبب أخطاء ، كما أن الحكمة من ذلك تقررها الآيات بنفس الوضوح : التمييز بين الصادقين والكاذبين ، بين المؤمنين والمنافقين ، ليُعرف الصابرون والمجاهدون كما يُعرف المعاندون والطغاة الجبارون ، كي يتضح لنا العدل الإلهي عندما يجازى كل صنف بما هو أهله .

ومن الحكم أيضاً : التمحيص والتطهير والتزكية للمؤمنين ، فيزدادوا إيماناً مع إيمانهم واستمساكاً بدعوتهم حتى يكونوا

---

(1) سورة العنكبوت . الآيات من ١ - ٣ .

(2) سورة البقرة . آية رقم ٢١٤ .

(3) سورة محمد . آية رقم ٣١ .

(4) سورة الأنعام . آية رقم ٣٤ .

(5) سورة محمد . آية رقم ٤ .

(6) سورة آل عمران . آية رقم ١٧٩ .

(7) سورة آل عمران . آية رقم ١٤١ .

أهلاً لتنزل نصر الله عليهم ، فيحافظوا عليه ويقوموا بأماناته خير قيام .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (١).

و قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

ولا يفوتنا ونحن نتناول الإجابة عن التساؤل : هل المحن نتيجة أخطاء أم سنة من سنن الدعوات أن نقول : إنه ليس معنى ذلك أنه لم تحدث أخطاء على الإطلاق فنحن بشر ، ولسنا معصومين ، من تعرض للعمل لا بد أن يتعرض للخطأ ، ومن لا يعمل لا يخطئ ، ولكنها الأخطاء الجزئية أو الفردية التي تحدث نتيجة الاجتهاد بعقولنا البشرية المحدودة ، وفي إطار حسن القصد وبذلك يرجى أن يكون لها أجر مع وجوب الاستفادة وأخذ العبر (٣).

سادساً : إنه من الملاحظ أن الجهة الدعوية الواحدة فرداً كانت أو جماعة ، قد لا تنتبه إلى خطئها بسهولة ، وإذا تنبهت إليه قد لا تهتدي إلى دوائه وكيفية معالجته ، كما هو الواقع غالباً نتيجة للقرب الشديد من الخطأ وإلفته...

لذا كان لا بد للنجاح في معالجة الأخطاء والمشكلات الدعوية من تعاون وثيق بين الدعاة والعاملين في مجال الدعوة على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم .

فحبذا لو تشيع بين الدعاة الحلقات المفتوحة التي تجمع بين المتعاونين سواء على مستوى الجلسات الدورية المحدودة ، أو على مستوى المؤتمرات الواسعة التي يحضرها نخبة من الدعاة على مختلف مناهجهم وانتماءاتهم الدعوية ، من الذين تجمعهم الهموم الدعوية المعاصرة ، ويملكون من الكفاءات العلمية والخبرات العملية ، ليعقدوا جلسات حوار هادئة تعرض فيها الأمور ، وتناقش فيها الأخطاء ، وتتبادل فيها وجهات النظر ... ليصل الجميع إلى أحكم الخطوات وأنجح الأدوية ، وذلك نهوضاً بالعمل الإسلامي من كبوته ، ودفعاً لسلبياته ، وتحقيقاً لإيجابياته (٤).

---

(١) سورة الحج . آية رقم ٤١ .

(٢) سورة الأعراف . آية رقم ١٢٨ .

(٣) من فقه الدعوة – الأستاذ مصطفى مشهور – جـ١ صـ٦٦ .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة – صـ ٣٥٠ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١).

سابعاً : إن دعوة الناس إلى التوحيد دعوة يسيرة بسيطة في حقيقتها، ولكن كائنات الظلام التي ترتعد فَرَقاً من أي شعاع من نور الحق لا تهنأ ما لم تضع المعوقات والعراقيل في طريق الدعاة، فكان من الضروري تنبيه الدعاة إلى الله تعالى إلى وجود هذه المعوقات حتى يتم التعامل معها بما يكون أرجى لنجاح الدعوة وتبليغ الرسالة .

أهمية معرفة المعوقات :

هذا ... وتأتي أهمية معرفة المعوقات ، وضرورة مدارستها من عدة أمور منها :

١– أن هذه المعرفة هي الطريقُ لتحقيق النصر، حيث إنه لا يكفي لقيام أمر ما أن تتحقق موجباته بل لابد أن تنتفي معوقاته.

٢ – أن المجتمع المسلم لا ينبيه إلا أصحاب الحركة الإسلامية ، ولذلك كان لابد من نقاء الحركة من جميع الشوائب التي تُمثل العوائق في تحقيق الغاية.

٣ – أن النظر في العوائق ومعرفتها ليتجنبها الدعاةُ منهجٌ سلفيٌ أصيل ، فهذا حذيفةُ بن اليمان الصحابي الجليل يقول : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ! (٢).

لقد كان السلف الصالح من العلماء الربانيّن ، والدعاة العاملين يهتمون بمعالجة أخطائهم وأنفسهم قبل اهتمامهم بمعالجة أخطاء الآخرين ، ويقدمون تزكية أنفسهم على تزكية أنفس الآخرين ، مما سهل عليهم مداواة النفوس وعلاج المشكلات ...

أما نحن فقد شُغل كثير منا بعيوب الآخرين عن عيوبه ، وأصبح بعضنا يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الحصاة في عينه ، مما عقّد المشكلة وأخر الشفاء ...

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه) (٣).

فلا بد لنا من عودة إلى منهج أسلافنا في معالجة المشكلات وإتيان البيوت من أبوابها .

٤ – ضرورة النظر في المعوقات حتى لا يخدع أصحاب الدعوة والحركة الإسلامية : فتنخُر بهم دابة البشر من حيث لا

---

(١) سورة النحل ،آية رقم ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري– جـ٣ – صـ١٣١٩ – دار ابن كثير اليمامة بيروت .

(٣) صحيح ابن حبان – جـ ١٣صـ٧٣٠– مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية– تحقيق شعيب الأرنؤوط – ١٤١٤ هـ– ١٩٩٣م

يشعرون، وهذا أمرٌ بينه الفاروق رضي الله عنه حين قال : " إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية "[١].

٥ – أنه السبيل إلى إتمام البناء الإسلامي الشامخ الذي بدأه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم فنصل بالدعوة إلى كل مكان نستطيع الوصول بها إليه، تحقيقاً لقول الحق تبارك وتعالى لنبيه وعلى لسانه : (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)[٢].

٦ – أن طريق الدعوة ليس طريقاً هيناً ليناً ولا مفروشاً بالزهور والورود والرياحين كلا إنه طريق وعر شاق طويل ملئ بالعقبات مخضب بالدماء محفوف بالابتلاءات ومن الحكمة قبل أن نواصل السير على هذا الطريق أن نكون على بصيرة تامة بوعورته ومشقته وعقباته الكثيرة لنعد له الزاد الحقيقي الذي يناسبه ، حتى لا نزلق في أي منعطف من المنعطفات أو نصطدم بعقبة من العقبات التي ستعترض طريقنا .

---

(١) منهاج السنة النبوية جـ ٤ صـ ٥٩٠ – ابن تيمية – مؤسسة قرطبة – الطبعة الأولى– ١٤٠٦ هـ .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٩ .

الفصل الأول

معوقات متعلقة بالدعوة الإسلامية وسبل مواجهتها

المعوقات في طريق الدعوات الإلهية سنة كونية أرادها الله عز وجل ليمحص المؤمنين وليعلم المنافقين ويميز الغث من الثمين ، كما أنها في طريق الدعوة دليل على صحة المسيرة وسلامة الخطة ، فهي لازمة من لوازم كل دعوة صحيحة ولا يخلو منها إلا الدعوات الدعية ، والحركات المشبوهة .

هذا .. وتنقسم المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية إلى قسمين :

– **معوقات داخلية** : ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية من مختلف الجهات الداخلية التي تعرقل مسيرتها وتقف في طريقها حجر عثرة .

– **معوقات خارجية** : ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية من مختلف الجهات الخارجية التي تناوئ الإسلام وتعمل للقضاء عليه .

القسم الأول : المعوقات الداخلية وتتمثل فيما يلي :

أولاً : واقع الأمة الإسلامية .

وهذا العامل يأتي في مقدمة العقبات الداخلية ، فالدعوة لا تقوى ولا تنهض إلا في أمة قوية ناهضة كما تمنى نبي الله

لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١].

أو كما وقع لشعيب عليه السلام من قومه : " (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[٢].

إن البطء في خطى الدعوة صورة من البطء في تقدم العالم الإسلامي .

إن الغربيين يستمدون فكرهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ، فإنهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكنين فرقت بينهم الأهواء والشهوات وقعدت بهم الصغائر وانصرفوا عن عظائم الأمور وأصبحوا مستعبدين مستذلين ، ولو كان الإسلام – من وجهة نظر الغربيين – ديناً قوياً لما كان المسلمون هكذا ...

إن تخلف المسلمين يأتي على رأس الأسباب التي تعوق انتشار الإسلام إذ يشكل تخلفهم مرآة مشوهة لا تعكس أنوار الإسلام بل تعكس ظلمات المسلمين ، فالإسلام محجوب بأهله ، على حد

---

(١) سورة هود الآية رقم : ٨٠ .

(٢) سورة هود الآية رقم : ٩١ .

تعبير الإمام محمد عبده رحمه الله ، وكما فتننا الغربيون ببريق حضارتهم ، كذلك فتنّاهم بظلام تخلفنا !

يقول الدكتور محمد عمارة " لولا هذا التخلف الذي يعيش فيه العالم الإسلامي لكان للإسلام جاذبية أكبر في إطار التجمعات الغربية ، فالعقلية الغربية مؤهلة للانعطاف للإسلام لطابعه العقلاني" [٣].

ويقول الأستاذ عباس العقاد : " إن الجاهل أعدى لأمته من أعدى أعدائها ! وما نكب الإسلام كما نكب من أبنائه الجاهلين " ! [٤].

ويقول الشاعر عمر أو ريشة [٥]:

---

(٣) مجلة الفيصل – العدد ١٣٠– عام ١٩٨٧م .

(٤) د /عبد المعطي الدالاتي – ربحت محمداً ولم أخسر المسيح – صـ ١١٨ وما – ط مؤسسة الرسالة – دمشق – سوريا .

(٥) ولد عمر أبو ريشة في منبج بلدة أبي فراس الحمداني في سوريا عام ١٩١٠ وتلقى تعليمه الابتدائي في حلب،أكمل دراسته الجامعية في بيروت في الجامعة الأمريكية حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم عام ١٩٣٠م ثم أكمل دراسته في لندن في صناعة النسيج ، وهناك قام بدعوة واسعة للدين الإسلامي بلندن، ثار على بعض الأوضاع السياسية في بلادة بعد الاستقلال وامن بوحدة الوطن العربي وانفعل بأحداث الأمة

يا شعب لا تشكُ الشقاءَ
ولا تُطلْ فيه نواحَكْ
لو لم تكن بيديك مجروحاً
لَضمّدنا جراحكْ !

إن واقع المسلمين الحالي يمثّل حجاباً كثيفاً يطمس نور الإسلام ، ويُمثّل من ثَمّ صدّاً عن سبيل الله ، وبذا يرتكب المسلمون خطئين : تقصيرهم في تطبيق الإسلام ، وحجبهم أنواره . وليت شعري كيف يستطيع المتخلف حضارياً أن يُقنع المتحضرين – ولو مادياً – باعتناق مبدئه ؟!

يقول العلامة الغزالي : " إن امتلاك الحياة الدنيا عن قدرة وخبرة هو السبيل لنصرة المبادئ" [1]. وهو السبيل أيضاً للحفاظ على كيان الأمة ، فالمسلم لن يحميه في المعترك الحضاري إلا يده المؤمنة المتوضئة التي تستخرج معدن الحديد من أطواء الأرض ، على حد تعبير الدكتور المؤرخ عماد الدين خليل .

ونحن المسلمين ، لن تكون لنا الآخرة إن لم تكن لنا الدنيا ؟ فمن عجز عن إعمار دنياه فهو عن إعمار آخرته أعجز . وسيسأل المسلمون في الآخرة عن كيفية مرورهم في الدنيا .

قال تعالى:(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ)[2].

إن تخلف المسلمين هو في الحقيقة تخلفهم عن فهم الإسلام ، وعن الارتفاع إلى تطبيقه ، وهو الذي أدى إلى تخلفهم عن ضمير العصر وعن صناعة الحياة ، فهو انتقام للمبادئ التي خانها أصحابها ، يقول الإمام محمد عبده : "كل ما يُعاب على المسلمين ليس من الإسلام ، وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً" [3].

ويقول المفكر عمر حسنة : "هل أخطر من أن نأتي إلى صور من تخلفنا فنرفع فوقها شعارات لتصبح هي الإسلام ؟! [4].

العربية بشدة . شردته الكلمة اثنين وعشرين عاما في مشارق الأرض ومغاربها وهذا شأن كل صاحب كلمة ، وتُوفي رحمه الله في الرياض عام ١٩٩٠ م ، والبيتان من قصيدة له بعنوان : يا شعب . انظر موقع الشاعر عمر أبو ريشة على شبكة الأنترنت : http://www.geocities.com/alrazhi٦٠/ABR/omer.htm

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) محمد الغزالي ص(١٣٧) .

(٢) سورة الصافات الآية رقم : ٢٤ .

(٣) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية – الإمام محمد عبده – صـ١١٥ ، ط مكتبة صبيح .

(٤) حتى يتحقق الشهود الحضاري – عمر حسنة صـ١١٥ .

ويقول المفكر مالك بن نبي [1]: "التخلف هو عقوبة إلهية أوقعها الإسلام بأتباعه جرّاء تخلّيهم عنه ، إن المسلمين تأخروا لأنهم تركوا الإسلام لا لأنهم تمسكوا به ، فحق عليهم قوله سبحانه وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

وقد نجح الإعلام الغربي – للأسف – باستغلال تخلف المسلمين فوظفه لصالح أطروحاته المعادية للإسلام والعرب .

ومن دعا الناسَ إلى ذمّه
ذموه بالحق وبالباطل [3].

هذا .. وتشتبك في التخلف الأسباب والنتائج ، لتشكل دائرة معيبة تستلزم استنفار كل الطاقات لكسرها ، وأهم مفردات هذا التخلف هي :

أ – الكسل ، وعدم اتقان العمل ، والتطلّع إلى نتائج عظيمة من جهد يسير .

ب – جفاء القلم والقراءة ، وانحسار الوعي الحضاري والفقه السنني .

ج – انطفاء فاعلية العقل المسلم ، وضعف توهجه ، وإصابته بالجمود المؤدي للجحود ، وتقديم عقلية الحفظ على التفكير ، واستبدال الارتجال بالتخطيط ، والتسويغ بالنقد والمراجعة والتوبة .

د – التعصب المذهبي المقيت ، والتدين المغشوش ، والارتزاق بالدين ، وانتشار الأحاديث المكذوبة والخرافات ، والابتداع في الدين ، مع ترك الإبداع في الدنيا .

هـ – تبديد الوقت وعدم سماع خطوات الزمن ، وإضاعة العمر العزيز في أعمال صغيرة أو غير نافعة .

و – التركيز على الفرد المنقذ ! وغياب العمل المؤسسي المعتمد على الشورى والتكامل وعلى روح الفريق .

ز – ضعف الإحساس بالجمال والنظافة ، وضعف الشعور بالقانون والنظام والمسؤولية تجاه المجتمع .

ح – اليأس القتال والخور المميت ! وتمزق وحدة المسلمين..وظلماتٌ بعضها فوق بعض ![4].

---

(١) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا – الشيخ محمد الغزالي صـ٧٤ .

(٢) سورة طه الآية رقم : ١٢٤ .

(٣) بيت الشعر لمحمد بن حازم الباهلي ، وهو شاعر مطبوع، كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي، ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها. وهو من قصيدة له بعنوان:

إن كُنتَ لا تَرهَبُ ذَمّي لِما تَعلَمُ مِن صَفحي عَنِ الجاهِلِ

(٤) د /عبد المعطي الدالاتي – ربحت محمداً ولم أخسر المسيح – صـ١١٨ وما بعدها .

هذا هو مناخ التخلف الذي أناخ فوق صدر أمتنا ، فحجب الإسلام عن الأنام .

يقول الإمام جمال الدين الأفغاني : " أفضل وسيلة لإقناع الغربيين بالإسلام أن نقنعهم أولاً بأننا لسنا مسلمين كما ينبغي " ، إذ أن نُدرة من الغربيين يستطيعون التمييز بين الإسلام والمسلمين كعالم اللاهوت د. ميشيل لولونغ الذي يقول: " لا بد أن نقوّم الإسلام بعمل المسلمين الملتزمين ، وليس بعمل المنحرفين " [1].

فيا عجباً لأمة "اقرأ " كيف خدّرها الجهل ! ويا عجباً لأمة "سورة الحديد " كيف أناخ بها الضعف ! ويا عجباً لأمة "سورة العصر " كيف رضيت أن تكون خارج العصر ! ويا عجباً لأمة تنام في النور ، ولأمم تستيقظ في الظلام !

بأيمانهم نُوران ذكرٌ وسُنةٌ
فما بالهم في حالك الظلماتِ [2].

يقول الشاعر حافظ شيرازي : " نفسي متعبة من هذه الحال التي أناخت على مدينتي فجعلت الأعداء يتزاحمون عليها ويجعلون أعزة أهلها أذلة ، نفسي متعبة فأنا أرى كل هذا السوء يحط على مدينتي وأنا وحدي لا أتمكّن من رفعه ولا أقدر على دفعه ! نفسي متعبة باكية ، ولكنْ هو ذا في الأفق البعيد يلوح نور جديد ، يهدي الضال وينهض الآمال"[3].

إن الغربيين ينظرون إلى المسلمين في العصر الحاضر وينسون شيئين .

ينسون أن المسلمين في العصر الحاضر غير مستمسكين بالإسلام ، وتكاد تكون الصلة بينهم وبينه اسمية .

وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام كانوا مستمسكين بالإسلام ، وأيام أن كانت الدنيا لهم ولعلهم يعودون إلى دينهم كما نزل صافياً نقياً ، ويستمسكون به فيكونون مرآة حقيقية يتمثل فيها الإسلام الحنيف .

وآداب الإسلام كفيلة بأن تجعل من المسلم رجلاً قوياً مهذباً كريم النفس . ولكن المسلمين ابتعدوا كل البعد عن الإسلام فكانوا شر دعاية له .

(١) حوارات مع أوربيين غير مسلمين – د. عبد الله الأهدل – صـ ١٨٢ .

(٢) بيت الشعر لأمير الشعراء أحمد شوقي ، انظر الشوقيات – جـ ١ صـ ٨٢ ، قصيدة إلى عرفات الله ط. دار الكتب العلمية .

(٣) (حافظ شيرازي شاعر الغناء والغزل) د.ابراهيم الشواربي ص٣٨٩

يقول الدكتور محمد السيد الوكيل [1]: لا شك أن المسلمين متخلفون عن الركب الحضاري المتطور الذي يبدع كل يوم جديداً ، ويستغل هذا التخلف أعداء الإسلام مدعين أنه لو كان الإسلام قادراً على النهوض بالأمم والشعوب لما صار المسلمون إلى هذا الحد من التخلف المقيت .

والحق أن واقع المسلمين يعطي هذا الانطباع السيئ في نفوس الناس ، ولكن على الدعاة أن يتعرفوا على حقيقة الأمر ، ويقفوا على الأسباب الحقيقية المؤدية إلى هذا التخلف البغيض ، وحينئذ يمكنهم أن يردوا تلك الشبهة ويحطموا هذه العقبة .

إن تخلف المسلمين عن ركب الحضارة المتطور المبدع يرجع إلى سببين وكلاهما بعيدان كل البعد عن حقيقة الإسلام وماهيته .

أما **أولاهما** : فهو الاستعمار الغربي الذي استولى على البلاد الإسلامية في غفلة من أهلها ، وقد خرج هذا الغزو الصليبي مكشراً عن أنيابه السود مملوءاً بالحقد والكراهية للإسلام والمسلمين ، وعمل جاهداً على إبعاد المسلمين عن مصادر قوتهم وتقدمهم .

لقد علم هؤلاء المستعمرون أن الإسلام هو سر قوة المسلمين ، وهو العامل الحقيقي للتقدم الذي أحرزوه يوم كانوا مستمسكين به ، فعملوا على إبعاد المسلمين عن دينهم ، وعلموا أن البلاد الإسلامية العربية منها وغير العربية فيها من الخيرات والثروات ما يجعلها أغنى وأرقى بلاد العالم ، فاستغلوا هذه الخيرات لأنفسهم وحرموا سكان البلاد الأصليين من خيرات بلادهم ، وأقاموا صناعات بلادهم على تلك الخامات التي استخرجوها من بلاد المسلمين .

إن أبسط قواعد الذوق الإنساني أن يحترم النزيل صاحب البيت الذي ينزل فيه ، وأن يقدم له العون فيما يعجز عن القيام به ، وأن يقف إلى جواره فيما يحتاج إلى معونة ، ولكن الاستعمار الغربي كان قد حرم من أبسط قواعد هذا الذوق فسرق خيرات البلاد التي نزل فيها ، وأذل صاحب البيت الذي آوى إليه ، لقد كان من واجب الاستعمار ذوقياً وإنسانياً أن يطور هذه البلاد التي احتلها ، وأن يدرب أهلها على ما

(١) تقنين الدعوة ، مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس ، صـ ١٤٠ وما بعدها ، ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع .

يحتاجون إليه من أنواع الصناعات التي حذقها ، ولكن هيهات وهو في الحقيقة لم يستعمرها إلاّ لإضعافها وإذلالها .

وأما **ثانيهما**: فهو ابتعاد المسلمين عن دينهم – الاسلام – وهذا السبب كما رأينا يرجع إلى السبب الأول ، وإن تصريحات زعماء الاستعمار لتعطي هذا التصور بوضوح ، ولم يحاول الاستعمار أن يخفي وجهه الكالح في محاربة الإسلام ومحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم ، يقول القسيس زويمر في مؤتمر القدس الذي دعا إليه المبشرون في العالم :

(ليست مهمتكم إدخال المسلمين في المسيحية – فإن في هذا هداية لهم وتكريماً – وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها [1] .

لقد كان إبعاد المسلمين عن دينهم هدفاً أساسياً من أهداف الكنيسة بالتعاون مع الجيوش الصليبية الغازية ، وقد نجحت فعلاً في ذلك نجاحاً يفوق كل نجاح .

وهكذا يكون الاستعمار هو السبب الحقيقي في هذا التخلف الخطير في الدول الإسلامية ، وليس الإسلام ، وهكذا يتحمل وزر هذا التخلف وحده دون أن يشاركه فيه أحد ، ولهذا استحق الاستعمار لعنة الله – تعالى – كما استحق لعنة هذه الشعوب التي رزئت به .

وهذه العقبة لن يستطيع الدعاة التغلب عليها إلاّ بالعلم والدراسة الموضوعية المدعمة بالبراهين والأدلة ، ولعل هذا من الأسباب التي نلتمسها لنزول أول آيات من القرآن الكريم تحث على القراءة وتدعو إلى العلم .

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [2] .

ثانيا : قصور التمويل المادي عن الوفاء بمتطلبات الدعوة وأجهزتها .

الدعوة إلى الله واجب عام، ومسئولية الوفاء به في أعناق المسلمين جميعاً، وهي مسؤولية يجب للوفاء بها ومتطلباتها الشاملة توفير ما يلزم من مال ينفق منه على ما تقتضيه مجالاتها المتعددة – من إعداد للدعاة، وتهيئة للوسائل الضرورية من كل ما هو لازم لتوصيل دعوة الحق إلى الناس داخل بلاد المسلمين وخارجها

---

(1) جذور البلاء – عبدالله التل – صـ ٢٧٥ – ط المكتب الإسلامي .

(2) سورة العلق ، الآيات ١–٥ .

على السواء، فالدعوة إلى الإسلام لا يجوز الوقوف بها عند حدود عالمنا الإسلامي، بل يجب أن تصل هذه الدعوة وتبلغ إلى كل ما طلعت عليه الشمس، وكل ما دخل عليه الليل .

إن كتاب الله تعالى أنزل ليكون نذيراً للناس كافة ، وما بدأه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على طريق هذا الإنذار العام من دعوة لملوك الأرض وشعوبها الذين أتيح له أن يدعوهم ، أقول: ما بدأه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علينا أن نكمله، فنصل بالدعوة إلى كل مكان نستطيع الوصول بها إليه، تحقيقاً لقول الحق تبارك وتعالى لنبيه وعلى لسانه : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [1] .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [2] .

وهو معنى التعميم في آية البلاغ في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [3] بحذف المفعول ، فمعناه والله أعلم بلغ كل من يمكن تبليغه .

وإذا كان مجال الدعوة بهذه السعة ، وبخاصة في عصرنا الذي يسرت وسائل الاتصال فيه الوصول إلى كل شبر في أرض الله – تبين لنا حجم المال الذي لا بد منه للوفاء بمطالب دعوة جادة ، تخرج الأمة من دائرة التقصير والتفريط في جنب الله في عالم ضاقت فيه المسافات وألغيت الحواجز بين الدول والشعوب .

إننا في عصر تحول فيه صراع الأمم والشعوب من صراع عسكري إلى صراع اقتصادي في جوهره ، يتخفى وراء صراع فكري عقدي أو مذهبي ، وأصبح من المصطلحات الشائعة في عالم اليوم ما يتردد عن –الغزو الفكري– الذي اشتدت ضراوته، واصطنعت له الأساليب والمناهج التي خدمها العلم بجانبيها النظري والعملي على السواء. هذا الغزو الفكري المتبادل بين الشرق والغرب، وبين مختلف النظم والمذاهب المعاصرة بعضها وبعض، يركز ويكثف جهوده على بلاد العالم الإسلامي بخاصة، وعلى البلاد النامية بوجه عام، فهي– من جهة– مطمح نظره يرى فيها طلبته التي تحقق مطامعه الاقتصادية، ومن جهة ثانية، يراها متخلفة، وتخلفها يجعلها أكثر طواعية وتقبلا لما يقذف به إليها من فكر، يراد منه أن يكون رباطا وثيقا يشد إليه عقول

---

(1) سورة الأنعام الآية رقم ١٩ .

(2) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨ .

(3) سورة المائدة الآية رقم ٦٧ .

أبنائها على نحو يجعل منهم تابعين مخلصين، ينفذون له مخططاته في بلادهم دون أن يضطر إلى الكشف عن وجهه القبيح، كما يوفر عليهم الكثير من الجهود والمال لو أنهم اصطنعوا للسيطرة وجهاً آخر.

هذا الغزو الفكري ترصد له ميزانيات ضخمة، وتقام له مؤسسات وأجهزة تخطط له، وترسم له المناهج والأساليب وتُعد له من الوسائل والأدوات ما يجعله قادرا على تحقيق غاياته.

إن المراكز الثقافية وما إليها، والإذاعات الموجهة، مسموعة ومرئية، والسينما، ودور النشر، وفروع الجامعات الأجنبية والمكتبات العامة الأجنبية التي لها إمكانات تجعلها مقصد طلاب البحث العلمي في جامعات كثيرة من بلادنا الإسلامية والعربية وبلاد العالم النامي — فضلا عن الصحافة التي تتخذ منبرا يصل صوته إلى كل مكان — هذه كلها من أدوات الغزو الفكري المباشرة، ولعل غير المباشر من هذه الأدوات أشد خطورة وأخفى آثارا.

ولعل هذا يصور لنا حجم التمويل والمال المرصود لهذا النشاط الزاحف الشرس المصر الدءوب.

هذا النشاط الضخم بإمكاناته الهائلة يلقي بنتائجه في طريق الدعوة إلى الإسلام داخل بلاده وخارجه على السواء، نتائج هي عقبات وحواجز وسدود تعترض طريقها من ناحية، وهي معاول تخلخل وتهدم من ناحية أخرى.

فإذا رجعنا إلى الدعوة الإسلامية وقارنا ما هو مخصص لتمويلها في ميزانيات الدول الإسلامية بما تملكه أجهزة الغزو الفكري وما يرصد لها في ميزانيات الدول التي تمارسه، بدا لنا العجز الكبير في إمكانات الدعوة الإسلامية على المستويين الداخلي والخارجي من حيث القدرة المادية اللازمة، والتي بدون توافرها تصبح هذه الدعوة بين موجات الغزو الفكري المضاد قزما بين عمالقة شداد؟؟؟.

إن قصور التمويل عن الوفاء بمتطلبات الدعوة وأجهزتها، وفاء يمكنها من أن تصمد في معركة الصراع، وتطور من أسلحتها ووسائلها، وتكيف نفسها بالأساليب الملائمة في حرب المواجهة الفكرية والمذهبية، جعلها كالحمائم بين النسور..

وإذا كان الغزو الفكري ينطلق من مرتكز سياسي في الأساس، فهناك حركة أخرى تنطلق من مرتكز مختلف، ونعني بها حركة التبشير الجديد، والتي تلبس في

عصرنا ثيابا وأزياء تمعن في التخفي وتعمية ما وراءها وتجد من مصادر التمويل الرسمية من ميزانيات الدول، والشعبية من تبرعات الأفراد، المؤسسات، والجمعيات، ما يجعلها وافرة القدرة بالغة النشاط، تصل بنشاطها إلى كل ركن معلوم أو مجهول في عالمنا..

إنه لولا المناعة الذاتية التي يتمتع بها الإسلام كدين، ولولا جوانب ضعف موضوعية في تلك الدعوات المضادة لا تفلح كل وسائل التمويه في سترها.. لكانت نتائج عدم التكافؤ الخطير بين إمكانات الدعوة الإسلامية وإمكانات أعدائها أضعاف أضعاف ما هو واقع فعلا — وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (١).

إن مقارنة بين الفاتيكان وحده بإمكاناته وطاقاته وسلطانه على الشعوب والحكومات المسيحية في العالم الغربي.. وبين أجهزة الدعوة مجتمعة في عالمنا الإسلامي تكشف لنا وتجسد ما تعانيه الدعوة الإسلامية، وتهيب بنا جميعا أن نبحث عن مخرج لانتشالها من مأزقها "(٢).

ففي ألمانيا ذكرت صحيفة "فيلت إم زونتاج" الألمانية في تقرير لها تحت عنوان "مليون ضد محمد" مؤخراً أن الفاتيكان خصص قدراً هائلاً من الأموال مؤخراً، لتفعيل نشاط منظمة "رابطة الرهبان لنشر الإنجيل" التنصيرية، في مجال وقف انتشار الإسلام حول العالم، وتنصير أكبر عدد ممكن من المسلمين.

وأدوات المنظمة لتحقيق هذا الهدف متعددة، من أبرزها بناء المدارس ومرافق الخدمة العامة، خاصة الصحية منها التي تقدم خدمات مجانية لفقراء المسلمين في عدة دول بالعالم، كما تضم المنظمة نحو مليون فرد يعملون ليل نهار وفي كل مكان؛ من أجل وقف انتشار الإسلام في العالم بكل قوة، وعلى تشويه صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونعته بأبشع الصفات. ويعمل في خدمة المنظمة "جيش" مكون من ٨٥٠ ألف قس وكاهن و٤٥٠ ألف موظف إداري

---

(١) سورة الأنفال الآية رقم ٣٢.

(٢) مشكلات الدعوة والدعاة — الدكتور الذهبي — مجلة منار الإسلام — العدد السادس — السنة التاسعة — جمادى الآخر ١٤٠٤ هـ صـ ١٨ بتصرف.

ساهموا في تأهيل ٦٥ ألف قس جديد عبر ٢٨٠ دورة تدريبية خلال السنوات الأخيرة.

كما يعمل في خدمة جيش الكهنة والموظفين الإداريين جيش آخر مكون من مليون فرد ينتقلون من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة للتنصير، ومحاولة إقناع الفقراء والمهمشين بالكاثوليكية.

واعتبر التقرير أن المنظمة التي تحاول تقديم النصرانية إلى الناس كدين للتسامح والسلام تتبع في عملها نظاماً إدارياً بعيداً عن أي قدر من الرحمة، مثلما هو الحال في الجيوش العسكرية، مشيراً إلى أن استخدام الرئيس الحالي للمنظمة "الكاردينال كريسينسيو سيبي " لكلمة "قواتي" أو "جنودي" عند حديثه عن المنظمة لم يكن استخداماً عادياً، وإنما إشارة ذات دلالة لطبيعة المنظمة.

وقدر التقرير الميزانية السنوية لمنظمة "رابطة الرهبان لنشر الإنجيل" بنحو ٥٠٠ مليون دولار يذهب معظمها لأنشطة التنصير ووقف المد الإسلامي .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كشف تقرير للبيت الأبيض أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش قدمت مساعدات بلغت أكثر من ملياري دولار كمنح للجمعيات الخيرية الدينية، خلال عام ٢٠٠٥م؛ وهو ما أثار اتهامات لإدارة بوش بأنها تكفلت بحملات التبشير التي يقوم بها اليمين المسيحي.

وأورد تقرير البيت الأبيض أن نحو ١٠,٩% من المنح الفيدرالية المقررة لبرامج المعوذين في عام ٢٠٠٥م ذهبت إلى الجمعيات الخيرية الدينية عام ٢٠٠٥م، وذلك بعد أن كانت النسبة ١٠,٣% في عام ٢٠٠٤م، كما لعبت الجمعيات الخيرية الدينية بالولايات المتحدة دوراً مميزاً وكبيراً في توفير الإسكان الشعبي، بعد تلقيها نحو ١٤,٢% من نفقاتها في ٢٠٠٥م من وكالة التنمية الدولية.

وقد أثار الدعم الكبير من جانب بوش للجمعيات الخيرية الدينية جدلاً واسعاً، داخل وخارج الولايات المتحدة، خاصة بعدما أدت ضغوط جماعات الضغط اليمينية المسيحية بالولايات المتحدة إلى تحويل نحو ٤ مليارات جنيه إسترليني كان البيت الأبيض تعهد بها لمكافحة مرض نقص المناعة المكتسب – الإيدز – إلى برامج للرهبنة والتبشير بالمسيحية بين المسلمين، وهذا ما دفع الرئيس الأمريكي لأن ينشئ مكتباً دينياً، داخل إدارة الأمن القومي، بهدف المساعدة في تنسيق أداء الخدمات الإجتماعية من قبل المنظمات

الدينية، ليضاف إلى ١١ مكتباً متشابهاً أنشئت خلال الفترة التي قضاها الرئيس بوش في البيت الأبيض.

وفي فرنسا أشار موقع "فرانس إيكو" القريب من منظمات التنصير إلى أن النشاط التنصيري بين مسلمي فرنسا بدأ يركز أكثر على الأقلية القبائلية القادمة من دول المغرب العربي، حيث إن القبائليين أسسوا لهم أول كنيسة مغاربية أسموها " نتردام دي كابيلي " نسبة إلى منطقة القبائل، كما تأسست عام ٢٠٠١م جمعية " إقبال " التي مهمتها جذب المغاربيين الناطقين بالعربية إلى المسيحية، حيث تقوم الجمعية كل يوم سبت بعقد اجتماع أسبوعي بالداخلين الجدد في المسيحية من المغاربيين، وتقديم النصائح لهم من أجل تعميدهم نهائياً. كما أشار الموقع إلى أن عدد المغاربيين الذين اعتنقوا المسيحية بلغ في السنوات القليلة الماضية ٧ آلاف، مقابل حوالي ٥٠ ألف مسيحي فرنسي اعتنقوا الإسلام، بحسب دراسة أصدرتها الأجهزة الأمنية الفرنسية العام الماضي .

وعند البحث عن التنصير والحركات التنصيرية في أوروبا، وجدنا إحصائيات خطيرة كان لابد من الوقوف عندها، حيث إن هناك ارتفاعًا شديدًا ومكثفًا في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية تمتلك ١٠٠مليون جهاز كمبيوتر تتبع ٢٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم ، وتصدر ١٠٠ألف كتاب و٢٥ ألف مطبوعة صحفية بأكثر من ١٥٠ لغة وكلها تخدم التنصير، وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة بالإضافة إلى ما سبق ذكره كلها متخصصة في التنصير، وكذلك حوالي ١٠٠ ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي. كما حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره ٨,٩ بليون دولار، ويعمل في خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر، وصدر ٨٨٦١ كتابًا و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية، ووصل عدد الأناجيل الموزعة مجاناً إلى ٥٣ مليون. كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية ٣٢٤٠، وقد بلغ ما أنفق لدعم ميزانية التنصير خلال عام ١٩٩١م حوالي ١٨١ مليار دولار، والذي زاد بمقدار ٣٠ مليار خلال عامين، حيث كان عام ١٩٨٩م حوالي ١٥١ مليار دولار. وهذا يبين مدى

ساهموا في تأهيل ٦٥ ألف قس جديد عبر ٢٨٠ دورة تدريبية خلال السنوات الأخيرة.

كما يعمل في خدمة جيش الكهنة والموظفين الإداريين جيش آخر مكون من مليون فرد ينتقلون من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة للتنصير، ومحاولة إقناع الفقراء والمهمشين بالكاثوليكية.

واعتبر التقرير أن المنظمة التي تحاول تقديم النصرانية إلى الناس كدين للتسامح والسلام تتبع في عملها نظاماً إدارياً بعيداً عن أي قدر من الرحمة، مثلما هو الحال في الجيوش العسكرية، مشيراً إلى أن استخدام الرئيس الحالي للمنظمة "الكاردينال كريسينسيو سيبي " لكلمة "قواتي" أو "جنودي" عند حديثه عن المنظمة لم يكن استخداماً عادياً، وإنما إشارة ذات دلالة لطبيعة المنظمة.

وقدر التقرير الميزانية السنوية لمنظمة "رابطة الرهبان لنشر الإنجيل" بنحو ٥٠٠ مليون دولار يذهب معظمها لأنشطة التنصير ووقف المد الإسلامي .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كشف تقرير للبيت الأبيض أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش قدمت مساعدات بلغت أكثر من مليارى دولار كمنح للجمعيات الخيرية الدينية، خلال عام ٢٠٠٥م؛ وهو ما أثار اتهامات لإدارة بوش بأنها تكفلت بحملات التبشير التي يقوم بها اليمين المسيحي.

وأورد تقرير البيت الأبيض أن نحو ١٠,٩% من المنح الفيدرالية المقررة لبرامج المعوذين في عام ٢٠٠٥م ذهبت إلى الجمعيات الخيرية الدينية عام ٢٠٠٥م، وذلك بعد أن كانت النسبة ١٠,٣% في عام ٢٠٠٤م، كما لعبت الجمعيات الخيرية الدينية بالولايات المتحدة دوراً مميزاً وكبيراً في توفير الإسكان الشعبي، بعد تلقيها نحو ١٤,٢% من نفقاتها في ٢٠٠٥م من وكالة التنمية الدولية.

وقد أثار الدعم الكبير من جانب بوش للجمعيات الخيرية الدينية جدلاً واسعاً، داخل وخارج الولايات المتحدة، خاصة بعدما أدت ضغوط جماعات الضغط اليمينية المسيحية بالولايات المتحدة إلى تحويل نحو ٤ مليارات جنيه إسترليني كان البيت الأبيض تعهد بها لمكافحة مرض نقص المناعة المكتسب – الإيدز – إلى برامج للرهبنة والتبشير بالمسيحية بين المسلمين، وهذا ما دفع الرئيس الأمريكي لأن ينشئ مكتباً دينياً، داخل إدارة الأمن القومي، بهدف المساعدة في تنسيق أداء الخدمات الإجتماعية من قبل المنظمات الدينية، ليضاف إلى ١١ مكتباً متشابهاً أنشئت خلال الفترة التي قضاها الرئيس بوش في البيت الأبيض.

وفي فرنسا أشار موقع "فرانس إيكو" القريب من منظمات التنصير إلى أن النشاط التنصيري بين مسلمي فرنسا بدأ يركز أكثر على الأقلية القبائلية القادمة من دول المغرب العربي، حيث إن القبائليين أسسوا لهم أول كنيسة مغاربية أسموها " نتردام دي كابيلي " نسبة إلى منطقة القبائل، كما تأسست عام ٢٠٠١م جمعية " إقبال " التي مهمتها جذب المغاربيين الناطقين بالعربية إلى المسيحية، حيث تقوم الجمعية كل يوم سبت بعقد اجتماع أسبوعي بالداخلين الجدد في المسيحية من المغاربيين، وتقديم النصائح لهم من أجل تعميدهم نهائياً. كما أشار الموقع إلى أن عدد المغاربيين الذين اعتنقوا المسيحية بلغ في السنوات القليلة الماضية ٧ آلاف، مقابل حوالي ٥٠ ألف مسيحي فرنسي اعتنقوا الإسلام، بحسب دراسة أصدرتها الأجهزة الأمنية الفرنسية العام الماضي .

وعند البحث عن التنصير والحركات التنصيرية في أوروبا، وجدنا إحصائيات خطيرة كان لابد من الوقوف عندها، حيث إن هناك ارتفاعًا شديدًا ومكثفًا في

التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية تمتلك ١٠٠مليون جهاز كمبيوتر تتبع ٢٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم ، وتصدر ١٠٠ألف كتاب و٢٥ ألف مطبوعة صحفية بأكثر من ١٥٠ لغة وكلها تخدم التنصير، وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة بالإضافة إلى ما سبق ذكره كلها متخصصة في التنصير، وكذلك حوالي ١٠٠ ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي. كما حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره ٨,٩ بليون دولار، ويعمل في خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر، وصدر ٨٨٦١ كتابًا و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية، ووصل عدد الأناجيل الموزعة مجاناً إلى ٥٣ مليون. كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية ٣٢٤٠، وقد بلغ ما أنفق لدعم ميزانية التنصير خلال عام ١٩٩١م حوالي ١٨١ مليار دولار، والذي زاد بمقدار ٣٠ مليار خلال عامين، حيث كان عام ١٩٨٩م حوالي ١٥١ مليار دولار. وهذا يبين مدى

التزايد الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير على مستوى العالم . والتساؤل الذي يفرض نفسه هنا هو : ماذا عن ميزانية الدعوة للدين الإسلامي؟

وهناك تساؤل آخر يفرض نفسه هنا أيضاً هو: ما الوسائل التي تتبعها الحملات التنصيرية؟بالطبع هناك وسائل كثيرة تتبعها الحركات التنصيرية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – الخدمات الإنسانية مثل الإغاثة والطب ، والمساعدات هي من أهم الوسائل التي يصلون بها إلى المسلمين، فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، حيث تمثل الكوارث التي تقع في البلاد الإسلامية فرصة مناسبة لتقديم الإغراءات والمساعدات والتي يستطيعون من خلالها اصطياد المسلمين.

٢ – التخريب الأخلاقي حيث إن الكنيسة تدار فيها الخمور وحفلات الرقص الماجن للمراهقين والمراهقات؛ من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية خاصة إن كانوا من شباب المسلمين.

٣ – إصدار كتب وكتيبات بجميع اللغات وفي جميع الموضوعات عن المسيحية وبكميات هائلة يصعب حصرها ، مع تعمد التشوية والكذب في مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات.

ومن الوسائل أيضاً : المجلات، والدوريات، والصحف، حيث إن عدد الصحف التي تخدم التنصير المخصصة لهذا الغرض كثيرة جدًا لدرجة يصعب حصرها.

وفي النهاية ورغم شراسة هذه الحملات التنصيرية، إلا أننا نؤكد أن الإسلام يسير بقوة دفع ذاتية، وطاقة التشغيل الأساسية هي القرآن الكريم وليس بقوة المسلمين، فإن استطاعوا اليوم تنصير ألف من المسلمين فإن خمسين ألفاً على الأقل يدخلون إلى الإسلام غداً، وإلا لماذا هذا الرعب والهلع من الإسلام خاصة في فرنسا والتي أشارت آخر الدراسات بها إلى أنها ستتحول إلى دولة إسلامية بحلول عام ٢٠٥٠؟![1].

اقتراح :

وهنا نقترح أن تخصص نسبة مئوية من ميزانية كل دولة إسلامية لتمويل الدعوة في الداخل والخارج ، نسبة مئوية يتحقق بها العدل والتضامن في تحمل أعباء هذا الواجب الخطير، وتفي بمتطلبات المهمة الخطيرة التي تنتظر المسلمين اليوم، وفاء

(١) مجلة المجتمع – العدد رقم ١٧٣٩ الصادر في : ٢/١٧ / ٢٠٠٧ م .

بحق دينهم، وبحق الإنسانية التي ضلت طريقها، ولا سبيل لهدايتها إلا عن طريق تعريفها بالدين الذي جاء لهداية البشر جميعا .

إن (١%) واحد في المائة، بل نصفا من المائة من ميزانيات كل الدول الإسلامية الغنية والفقيرة، يحقق حصيلة ضخمة تمول منها حركة الدعوة الإسلامية داخل بلاد المسلمين وخارجها تمويلا جماعيا، يتحدد نصيب كل منها بحسب ما تحتاجه لا بحسب ما أسهمت به.

إن بلدا إسلاميا كبيرا هو – أندونسيا– التي تعتبر أكبر دولة مسلمة في عصرنا عددا يتعرض الآن لحركة تبشير ضخمة وشرسة، استطاعت أن تقتطع من أبنائه المسلمين نسبة مئوية عالية، حددها بعض المشغولين فيهم بهذه المشكلة بنحو ٤٠% من جملة السكان، وهو رقم مهما كان فيه من مبالغة فإن ما يتبقى بعد حذف كل ما فيه من مبالغة أو تهويل، يكفي لأن يوقظنا من غفلتنا، ويقتضينا أن نسارع بتنفيذ هذا الاقتراح على الفور، وتعبئة جيش من الدعاة القادرين لمواجهة هذه المأساة المروعة..

وما يتعرض له المسلمون في الفلبين ألا يدخل في نطاق ما تطالبنا به الآية الكريمة تجاه المستضعفين من المسلمين حيث كانوا ، قال تعالى : (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ)[1].؟

إن الواجب علينا نصرهم كيفما كانت تبعاته وأهواله ، فكيف بنا إذا لم نقدم لهم حتى مجرد الدعم الروحي والمعنوي؟

إن تمويل الدعوة تمويلا يمكنها من الانطلاق دون معوقات هو أول ما يجب التركيز عليه واتخاذ قرار بشأنه، حتى لا يتحول الحديث والحوار إلى مجرد أفكار ونظريات لا تجد لها طريقا لأن توضع موضع التطبيق والتنفيذ [2].

ثالثا : الخلافات الفرعية الجدلية بين الدعاة أنفسهم .

وهذا العامل أيضاً من أهم العوامل التي كانت ولا تزال سبباً في تعثر الدعوة الإسلامية، فإننا نرى في ساحة العمل الإسلامي من الجماعات من يضيعون طاقتهم في مواجهة كل منها للأخرى ، وقد يكون الخلاف فيها على فروع أو على طريقة الدعوة .

(١) سورة الأنفال الآية رقم ٧٢ .

(٢) مشكلات الدعوة والدعاة – الدكتور الذهبي – مجلة منار الإسلام – العدد السادس – السنة التاسعة – جمادى الآخر ١٤٠٤ هـ صـ ١٩ بتصرف .

ولتوضيح هذا الموقف نذكر هذه الصورة :

انقسم أهل الدعوة على رأيين : هل الحركة الإسلامية حركة تغييرية أو إصلاحية ؟ ودارت منازعات واتهامات..

وفي هذا المجال نقول : لا خلاف بين الفريقين فالحركة الإسلامية إصلاحية في مجال الإصلاح، وتغييرية في مجال التغيير. والناظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يرى قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالأعمال الإصلاحية : من محاربة المفاسد، ودعوة إلى الأخلاق، في نفس الوقت الذي كان يعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل ليكون دولة الإسلام بهم التي تقوم بعمل التغيير للوجه الجاهلي للجزيرة العربية، فعلى ذلك فلا مبرر للصراع والاتهامات على أن يكون الهدف النهائي للحركة الإسلامية هو عبادة الله بمفهومها الواسع ، وهدم الطاغوت كما قال الله تعالى : ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ﴾[1].

إن الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق هو الاعتصام بأصول منهج أهل السنة والجماعة والتلقي عن الأئمة الموثوقين جميعاً ، وتوفر الطاقات المبذولة في الخلاف الجدلي للجهاد الإيجابي في سبيل الدعوة الإسلامية .

وهذا يقتضي أن ينظر الدعاة إلى الإسلام ذاته ، لا إلى مؤسساتهم ، وأن يتعاون العاملون بهذه المؤسسات بعضهم مع بعض على العمل النافع ، وترك الخلافات الصغيرة التي تؤثر على مسيرة الدعوة الإسلامية .

ولهذا يجب على الدعاة أن ينصح بعضهم بعضاً ، وأن يتخذوا منهج الكتاب والسنة أساساً ، ويكون النصح هو الرد العلمي المبني على الكتاب والسنة منهجاً متبعاً ، أي أن يعملوا بما اتفق عليه ، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلف فيه .

رابعاً : عجز جهاز الدعوة عن الوفاء بمتطلباتها.

لاشك أن الدعوة الإسلامية لابد لها من جهاز متكامل ينهض بها في داخل بلاد المسلمين وخارجها ، جهاز تتوافر فيه المقومات والخصائص التي تناسب طبيعة الإسلام من ناحية. وتلائم طابع العصر من ناحية أخرى.

إن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2].

---

(١) سورة النحل الآية رقم : ٣٦ .

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم ٤ .

فلا بد إذن للدعوة من لسان مشترك بين الداعي والمدعو، واللسان المشترك أوسع دلالة من مجرد معرفة لغة مشتركة بل لا بد من معرفة بما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته، وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد، لا بد للداعية من إلمام بها حتى يستطيع إحكام خطته في غزو الحصن من حيث يتمكن من فتحه بإذن الله .

ولا بد في خطاب البشر خطاباً ناجحاً من مراعاة طبيعة البشر العامة فيهم أولا، ومراعاة الخصائص الجنسية والعرقية ثانياً، ثم مراعاة الفروق الفردية في النهاية.

إن عقلية الإنسان هي نتاج تشكله عوامل كثيرة تختلف من شعب لآخر، ومن بيئة لأخرى ومن فرد لفرد .

هذه الفروق الجنسية والفردية على مستوى الشعوب والأفراد أصبحت أساسا مقررا وحقيقة مسلمة لدى علماء النفس والاجتماع وخبراء التربية، وقد اعتمدت عليها نظم التعليم في كل الدنيا، وآن لنا أن نستفيد منها في مجال الدعوة الذي رأينا كيف أسسه القرآن الكريم على أساس الفهم المشترك العميق بين الداعي والمدعو، ليتم الاتصال الذي يحقق الغاية كاملة.

إن مشكلة جهاز الدعوة الإسلامية اليوم بوجهيه البشري والمادي، تتمثل في عجزه عن الوفاء بمتطلبات الدعوة تحت ظروف العصر عجزا مزدوجا يشمل الكم والكيف معا [1].

خامساً : الخداع العقلي .

وهذه عقبة لم تعرف في طريق الدعاة إلاّ في العصر الحديث – أي بعد الثورة الصناعية ، وتمرد العلماء على الكنيسة – حيث زعم الناس أن الأديان عقبة في طريق التقدم العلمي ، وحسبوا أن الإسلام كالمسيحية في ذلك ، وراج زعمهم وشاع كلامهم حتى اقتنع به كثير من المسلمين أنفسهم لجهلهم بحقيقة الإسلام .

وتلك العقبة لا تذلل إلاّ بالوقوف على حقيقة الإسلام ، وضرب الأمثلة العملية لما قام به علماء المسلمين من جهود جبارة في خدمة العلم وإظهار أن الإسلام دين يحث على العلم ، ويدعوا إليه ، ويفضل العلماء على غيرهم ، وتوضيح أن علماء المسلمين خدموا العلم في فنونه المختلفة من طب وهندسة وكيمياء وفيزياء

---

(١) مشكلات الدعوة والدعاة – الدكتور الذهبي – مجلة منار الإسلام – العدد السادس – السنة التاسعة – رجب ١٤٠٤ هـ صـ ٢٠ بتصرف.

وبصريات ورياضيات وغيرها من أنواع العلوم ، كل ذلك في ظل الإسلام وتحت راية القرآن .

ومن المعلوم أن الخلفاء قد تبنوا تلك الحركة العلمية الواسعة ، وشجعوا العلماء على المضي فيها ، أجزلوا الجوائز للمتفوقين منهم ، وكان أقرب الناس إلى الخلفاء هم العلماء كما يشهد بذلك التاريخ ، فكيف يكون الإسلام عقبة في طريق التقدم العلمي ؟

اللهم إنها فرية لا يراد من ورائها إلاّ تعويق المد الإسلامي السريع الذي أذهل أعداء الإسلام[1].

سادساً : عدم توفير المناخ الملائم لحرية الدعوة .

إن مناخ الدعوة حينما يكون ملائماً يتيح لها من الحرية والانطلاق ما هو شرط ضروري لازدهارها وإيجابيتها ، وحينما يكون هذا المناخ غير مُوات بما يسوده من كبت وتقييد تفقد الدعوة أول شرط لحياتها، وتصبح مختنقة محبوسة الأنفاس .

لذا لابد من توفير مناخ صالح تنطلق فيه الدعوة إلى الله خالصة من كل قيد، متجردة من كل غاية إلا غاية وحيدة هي ـ هداية الخلق إلى صراط الله المستقيم ، ومعناه ـ أن ترفع عن أجهزة الدعوة في كل بلاد المسلمين أثقال أجهزة السلطة التي تمنعها حرية الكلمة، وتوجهها في كثير من الأحيان لتتحول من دعوة إلى الله تعالى ، إلى بوق من أبواق الدعاية أو وسيلة من وسائل الإعلام، أو تجمد حركتها بحيث تصبح مجرد وظيفة اجتماعية تتيح لصاحبها موردا للرزق يصبح الحصول عليه هو الغاية الأخيرة .

إن الله تعالى حينما قال : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2]. فقد قرر حق الدعوة في حرية مطلقة لا قيود عليها، وأوجب على الدعاة ألا يذعنوا لأي نوع من أنواع الضغط أو التوجيه الذي ينال من تجردهم للغاية التي جندوا أنفسهم لها.

وإذا كان من واجب حكام المسلمين أن يوفروا للدعوة هذه الحرية الكاملة فمن واجب الدعاة كذلك ألا يسيئوا استخدام هذه الحرية بما يسيء إلى أممهم ودولهم دون غاية من دين أو دنيا تبرر هذه الإساءة .

---

(١) تقنين الدعوة ، مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس ، صـ ١٣٩ وما بعدها ، ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع .

(٢) سورة الجن الآية رقم ١٨ .

وإذا كان لا بد هنا من ضابط لهذه الحرية فهذا الضابط يتمثل في أمرين:

أ- تجريد الغاية كلية لله ، فلا هوى ولا غرض، ولا مرض ولا عرض من أعراض الدنيا.

ب- سمو الأسلوب، واستقامة المنهاج بالالتزام بما أرسته الآية المباركة. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

إن حرية الدعوة يقابلها الالتزام بهذا الأدب الإلهي الذي سنه الله تعالى لإمام الدعاة صلوات الله وسلامه عليه .

حرية الدعوة والتزامها على هذا النحو هي الصيغة الوحيدة التي يمكن على أساسها حل المشكلة الأساسية التي تعاني منها - الدعوة الإسلامية - في كثير من البلدان، وهي مشكلة كونها تابعة للحكومات والسلطات.

والمشكلة هنا ذات أبعاد يجب تأملها ليمكن تصورها على نحو صحيح.

ماذا تعني تبعية أجهزة الدعوة في بلد ما للحكومة المسؤولة فيه؟

تعني أولاً : أن ينسحب منطق الوظيفة على هذا الجهاز .. فالعاملون فيه موظفون تحدد عليهم واجبات، وتقرر لهم حقوق، ويخضعون لنظام من التوجيه والرقابة تشبه إلى حد كبير ما يسود مجالات الحياة الأخرى، كما يتعرضون لنظام العقاب والثواب أسوة بغيرهم من موظفي الدولة هنا وهناك .

هذا الإطار الوظيفي إن صلح لأي مجال آخر في الحياة فهو في مجال الدعوة غير صالح على الإطلاق، فالدعوة إنما تقوم أساساً على الالتزام أمام الله وليس على الالتزام من جانب السلطات كائنة ما كانت .

ونظام الرقابة في هذا المجال لا يمكن أن يأتي من خارج الإنسان، وإنما يجب أن يتولد من داخله خلال عملية الإعداد والتربية والتكوين .

إن ضمير الداعية يجب أن يكون الفيصل في مسألة الرقابة وما يتصل بها وحاجة الدعاة إلى رقابة خارجية معناه : فشل إعدادهم وتربيتهم من ناحية، وعدم صلاحيتهم لمهمتهم من ناحية أخرى، وخير للدعوة ـ ألف مرة ـ أن يُنحى عن مجالها كل من يحتاج لرقابة خارجية من بقائه في ساحتها .

وتعني ثانياً: إحساس جهاز الدعوة التابع للسلطة بأن مصيره وقدره مرتبط بطاعته لأولي الأمر، وأن مخالفته إياهم ـ

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .

ولو كان فيها إرضاء الله ـ يعرض حياته وحياة من يعولهم لخطر يتصل بمصدر رزقهم .

هذا الإحساس يهدهد من شجاعة الدعاة في الجهر بكلمة الحق، وينمي، بالتدريج روح التهاون ويبرر الخمول والكسل ، حتى ينتهي الأمر إلى أداء شكلي هزيل ...

وتعني ثالثاً: أن يدخل - الدعاة - في معركة المطالبة بتحسين الأوضاع، فهم جزء من جهاز الدولة يتأثر بما حوله ، ودخول الدعاة في هذا الجو مشغلة من جهة تصرفهم عن وجهتهم ، وتبدد الكثير من طاقاتهم ، ومن جهة أخرى ينال من صورتهم ـ كمثل وقدوة ـ في أنظار الناس ، وعلى هذه الصورة يتوقف الكثير من استجابة الناس لهم ورفضهم إياهم.

وتعني رابعاً : أن على جهاز الدعوة أن يختار أحد طريقين : إما أن يساير ما يجري في مجتمعه ما دامت السلطات القائمة تقره ، وإما أن يقول كلمة الحق معلناً أن السلطات تخالف حكم الله في هذا الذي أقرته ، هذا الصراع النفسي داخل الداعية موجود مستمر طالما ظل هناك انفصال بين مواقف الحكام في التشريع والتطبيق وتنظيم الحياة ، وبين توجيه الإسلام .

والحق أن هذه المشكلة من أعقد مشكلات الدعوة .

فتبعية الدعوة للحكومات تضمن لها وللقائمين عليها موارد يصعب تدبيرها عن طريق آخر ومعناه : أن قطع هذه التبعية يقتلها قتلاً !! .

واستمرار هذه التبعية يعرض الدعوة في كثير من الأحيان لضغوط تشل فاعليتها وتفرغها من مضمونها !! .

والحل في نظرنا يمكن تحقيقه على النحو التالي :

أ- توفير ضمانات كافية تؤمن - الدعاة - تأمينا كاملا فيما يتصل بأرزاقهم، بمعنى أنهم لا يصادرون في أرزاقهم مهما كانت المآخذ أو حق التهم التي توجه إليهم !

ب- أن تتولى محاسبة من يرى أنه ارتكب ما يوجب المحاسبة هيئة علمية تحاكمه على أساس واضح من مقررات الإسلام التي لا يجوز للداعية أن يذعن لغيرها ، ولا يجوز لغيره أن يحاكمه إلا على أساسها .

ج- التفكير في نظام يكفل تمويل الدعوة على مستوى العالم الإسلامي ـ كما اقترحنا في صدر البحث ـ وبحيث

لا يكون هناك سلطان مباشر للحكومات على الدعاة[1].

سابعاً : غياب القدوة .

من الأمور المجمع عليها أن الدعوة بالقدوة الحسنة أعمق أثراً من الدعوة القولية ، وهذا العامل أيضاً من أهم العوامل التي تواجه الدعوة الإسلامية ، فهو تحد خطير ولذا ينبغي أن يكون المسلمون صورة حية مشرفة لدينهم ، يدعون إلى الإسلام بسلوكهم العملي على كل مستوى .

لقد كان سلوك المجتمع الإسلامي الأول بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبلغ دعوة إلى الإسلام ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[2].

وكذلك لنا في الصحابة رضوان الله عليهم الذين هم من أبرز آثار نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " أصحابي كالنجوم ، فبأيهم اقتديتم اهتديتم"[3].

إن شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل والفكرة عن التطبيق عند كثير من الدعاة شوّه كمال الدعوة وجمالها عند العامة، وأفقدها مصداقيتها عند كثير من المدعوين، فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله، ولا يستقيم سلوكه، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[4].

وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ثم لا يرى أثر ذلك في نفسه وأسرته؛ فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، ويكفي في أثر ذلك في الآخرة أن يصبح مصير هذا الداعية مصير ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار؛ فقد جاء في الحديث الشريف: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار،

---

(1) مشكلات الدعوة والدعاة - الدكتور الذهبي - مجلة منار الإسلام - العدد السابع - السنة التاسعة - رجب ١٤٠٤ هـ صـ ٣١ ، ٣٢ بتصرف.

(2) سورة الأحزاب الآية رقم :

(3) مشكاة المصابيح - محمد بن عبدالله الخيب التبريزي - جـ٣ - صـ١٦٩٦ -المكتب الإسلامي بيروت - الطبعة الثالثة -١٩٨٥ م - تحقيق الألباني .

(4) سورة الصف الآيتان رقم ٢، ٣ .

فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، مالك؟! ألم تأمر بالمعروف وتَنْهَ عن المنكر؟! فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه)[1].

ثامنا : تعدد أجهزة الدعوة .

وهو أمر له خطره المتمثل في تضارب الاتجاهات وما يترتب على ذلك من شقاق وبلبلة تهز ثقة الناس وتجعلهم يتساءلون : ترى من المحق من كل هذه الطوائف؟ ولماذا يكون بعضها أولى بالحق من الآخرين ؟

، وهذا الاختلاف له أثره السلبي على حياة الأمة والجماعة المسلمة ، فكل طائفة تدعى أن الحق لها وتحاول جاهدة أن تبرر وتثبت ذلك للناس وتندد بالآخرين .

وعلى سبيل المثال ما يحدث من بعض الجمعيات الدينية ومناهضتها للأزهر وعلمائه وأنه لم يعد محافظاً على السنة ونشرها إلى غير ذلك .

وإن كنا نريد حلاً لهذا الأمر فإن التعدد ذاته ليس ضاراً بالدعوة ولكن الضرر يكمن في اختلاف الأساليب والمناهج التي تنشر بها الدعوة ، فلو أن أجهزة الدعوة على اختلاف أشكالها توحدت كلمتها لنشر الدعوة بأسلوب معين وشكل محدد ومتحد لآتت ثمارها في خدمة الدعوة الإسلامية.

تاسعا :ترك ساحة الدعوة فوضى يتجول فيها هواة ومشعوذون ودجالون ومرتزقة كذابون .

ولعل ما يحدث من أدعياء التصوف ممن يُحسبون عليه ، وينتسبون ظلماً وزوراً إليه والتصوف منهم برآء .. يمثل نوعاً من المعوقات الداخلية التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية في مسيرتها وانطلاقها ، وذلك لأن هؤلاء يسيئون إلى الإسلام ويظهرونه في ثوب الدجل والخرافات والخزعبلات التي تجعل كثيراً من المفكرين والعلماء الأوربيين أو غيرهم يكتبون عن الإسلام ويصفونه بأنه دين التخلف والرجعية انطلاقاً من هذه المبادئ السيئة التي يتشبث بها هؤلاء المرتزقة .

عاشرا : ميل كثير من العاملين في مجال الدعوة إلى الهروب من الميدان والاتجاه إلى مجالات أخرى يرونها أكثر سخاء في العطاء الدنيوي .

وهذا أكبر دليل على أن فكرة الرسالة والإحساس لم نشأ في نفوسهم ولم يعن بتنميتها فيهم خلال مراحل الإعداد ، فالداعية عليه أن يشعر بمسؤولية العمل للإسلام من ذاته ، وأن يتولد شعور داخلي واستعداد كامل لتلبية حاجات هذه المسؤولية من النفس والجهد ، فهو لا ينتظر التكليف الحركي لينهض بالأعباء والمسؤوليات ، وإنما يتولد في أعماقه شعور فطري بالمسؤولية ويجري في عروقه إحساس رباني بالتكليف ، فحسبه أن يكون مسلماً ليتحرك في ذاته الشعور بالواجب تجاه هذا الدين الذي ينتسب إليه .

والدعوة الإسلامية في هذه الأيام بمسيس الحاجة إلى العناصر التي تتقد شعوراً وإحساساً بواجباتها الإسلامية ، العناصر التي يغلي فيها الشعور بالمسؤولية غلياناً ، العناصر التي لا يهدأ تفكيرها في هذا الدين وبالعمل له ساعة من ليل أو نهار ، وهكذا كان شعور الرعيل الأول من المسلمين بمسؤولياتهم تجاه الإسلام ، فقد كان شغلهم الشاغل في كل الظروف والأحوال في ساعات العسر واليسر .

حادي عشر : سوء التخطيط والتنظيم في المناهج والأساليب .

إن الدعوة الإسلامية أحوج ما تكون إلى ملاحظة قيمة التخطيط وأثره في بلوغ القضية الإسلامية أهدافها وغاياتها ، وإذا عنينا بالتخطيط والتنظيم نظرية الحركة الإسلامية وأسلوبها في تغيير واقع إنساني قائم بآخر منشود فإنما نريد بذلك أن نشير إلى الإخفاق الذي كان يمنى به الاتجاه الإسلامي والنكسات التي كانت تصاب بها الحركة الإسلامية ، ولا شك أن هذا كان ناجماً بصورة خاصة عن التخبط في طرائق العمل وإهمال جانب التخطيط .

والحق يقال بأن السطحية في تحديد الأهداف ووضع التصاميم وتقدير الأبعاد هي إحدى العلل التي ينبغي معالجتها فإذا أمكن افتراضاً اعتبار هذه السطحية توكلاً في بيئات فطرية بدائية فلا يمكن اعتبارها إلا تواكلاً في مجتمعات متحضرة متمدينة ، وكذلك فإنه ينبغي للدعوة الإسلامية أن تأخذ باستمرار عصارة دراسات وتجارب الأمم السابقة وتستفيد منها .

وإذا نظرنا إلى ناحية المنهج والأسلوب فإننا نجد أن الأساليب والمناهج التي اعتمدت عليها الدعوة الإسلامية طوال السنوات الماضية كانت تفتقر دائماً إلى الكشف والتطوير لتكون في مستوى القضية الإسلامية وفي مستوى الأحداث والظروف التي تحيط بها ، وكذلك فإن ملاحظة الفوارق الطبيعية المتعددة بين قطر وآخر وبيئة وأخرى مهم جداً في

---

(1) صحيح مسلم – جـ٤ – صـ٢٢٩٠– دار إحياء التراث العربي بيروت.

عملية التطوير هذه فما يصلح لآخر وما يعتمد عليه زمان لا يمكن اعتماده كلياً في زمان آخر .

القسم الثاني : المعوقات الخارجية .

مما لاشك فيه أن الدعوة الإسلامية تواجه معوقات كثيرة من مختلف الجهات الخارجية التي تناوئ الإسلام ، وهي غير خافية على المشتغلين والمهتمين بالدعوة في كل مكان من أقطار المعمورة ومن بين تلك المعوقات ما يلي :

أولاً : التضييق على الدعوة الإسلامية بالوسائل الفكرية والعملية .

أما الوسائل الفكرية فتتمثل فيما يلي :

١- الغزو الفكري :

وهو غزو للأفكار والعقول، فبعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الدعوة الإسلامية ، اتجه التفكير إلى نوع آخر من الغزو أشد تدميراً وأكثر ضراوة وأعمق تأثيراً ، ألا وهو غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين .

لقد عَدَلَ الأعداء عن مواجهة الإسلام، أو الاصطدام بالمسلمين لأن الغلبة في النهاية تكون من نصيب المسلمين ؛ فالأمة الإسلامية قد تمرض ولكنها لا تموت ، وتغفو ولكنها لا تنام ، والمسلمون قد يهزمون ولكنهم لا يبادون أو يسحقون ، ومهما كانت الحروب معهم – أعني المسلمين – سجالاً فالغلبة لهم في النهاية متى جعلوا نصرة الله نصب أعينهم وهدفهم المنشود وما أن يُخلص المسلمون في عودتهم إلى دينهم حتى يصبحوا قوة لا تقهر ، ولقد عرف الأعداء هذه الحقيقة ، وأكدها لهم لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن هزمه المسلمون شر هزيمة ، وأسروه في موقعة المنصورة بمصر ، ثم خرج صاغراً من أسره ، وكتب وصيته الشهيرة والتي عُرفت بوصية القديس لويس ليؤكد فيها أن المسلمين لا تهزمهم الجيوش مهما كانت قوتها ، وعلى الغرب الصليبي أن يتخلى عن استخدام أسلوب الحروب العسكرية ، وأن يستبدل بها الحروب الثقافية الفكرية ، وكانت وصيته تلك بمثابة إعلان عن أن الصراع بين المسلمين و الغرب الصليبي بدأ يأخذ شكلاً جديداً، فاستُبدلت بالحروب العسكرية أخرى فكرية ثقافية ، وإن لم يخلُ الأمر من صِدام مادي وقتال دموي على طول محطات التاريخ .

كتب يقول : "لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوى الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد ، وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض به .

والمسلمون قادرون دوماً للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة ، وأنه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي "[1] .

ويتحقق ذلك بوسائل متعددة منها :

أ- تشويه صورة الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

ب- مهاجمة اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية في مسعى لإضعاف اللغة العربية التي اختارها الله لكتابه حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2].

(١) د/ علي جريشة – والأستاذ / محمد شريف الزيبق – أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص١٩ ، دار الاعتصام – الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢) سورة يوسف الآية رقم ٢ .

ج- تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية والدعوة إلى إحياء القومية، وقد كانت الرابطة التي تجمع الشعوب الإسلامية هي الرابطة الإسلامية، فشجع الغرب الصليبي الشعوب المختلفة على المناداة بالقوميات التي تنتسب إليها الأمم المختلفة، فنادى العرب بالقومية العربية، والأتراك بالتركية الطورانية، ونادى الأكراد بالكردية، وبذلك تفسخت عرى الرابطة الواحدة التي كانت تجمع هذه الأمة وتوحدها، وقد كان ظهور هذه الدعوات سبباً في إزالة الخلافة العثمانية وتحطمها.

وقد أغرق دعاة الضلال في دعوتهم عندما أحيوا الحضارات القديمة لإيجاد مزيد من الانقسام والفرقة، فرأينا الدعوة إلى الفرعونية، والدعوة إلى البابلية، والآشورية.. وغيرها[3].

إن الإسلام يشجع الوطنية الحقة والقومية الهادفة القائمة على التعاون على البر والتقوى ويحارب العصبيات والنعرات الجاهلية المنافية للوحدة الإسلامية وقد قال صلى الله عليه وسلم:

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، صـ٥ دار النفائس، عمان- الأردن، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

(ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) [١].

إن أي وطنية وقومية يجب ألا تتعارض مع الوحدة الإسلامية أو تكون بديلاً عنها بل يجب أن تسخر لجمع كلمة المسلمين ووحدتهم، والعرب لم يجتمعوا إلا بالإسلام وقد أعزهم الله بإنزال القرآن الكريم بلغتهم وجعل الحرمين في بلادهم ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم منهم .

إن الرابطة الحقيقة بين المسلمين هي رابطة العقيدة وجميع الروابط الأخرى هي فرع منها كرابطة الجوار والقرابة والقبيلة والوطن .

د- إقصاء الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية ، وهذا الأسلوب بذل الكفار في سبيل تحقيقه الكثير من الجهد والمال والفكر، وقد أقنعوا به كثيراً من الحكام في الديار الإسلامية، وقد تبنت دولة الخلافة في آخر عهدها كثيراً من القوانين الكافرة، وفرضت القوانين الفرنسية على الشعب المسلم في مصر في عام ١٨٨٢م ولم ينتصف القرن الرابع عشر الهجري حتى أقصيت الشريعة الإسلامية في أكثر الديار الإسلامية، باستثناء أحكام الزواج والطلاق والممات[٢].

هـ- استخدام وسائل الإعلام ، حيث استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام، حيث أصبح المدافع عن أرضه وبلده إرهابياً والمحتل مدافع عن نفسه، ونظرة سريعة إلى وسائل الإعلام المعاصرة ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا، سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه، وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام، وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة التي تضاد الإسلام في كل شيء وتمجد الجريمة ، وتدعو إلى الفسق والفجور، وتكره في الحياة المستقيمة الفاضلة، وتتهكم بالمسلمين والمسلمات، وتتخذ الدين هزواً، وتعرض ما حرّم الله : الرقص الفاضح، وشرب الخمر، والكذب والدجل، وقد قامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن [٣].

---

(١) سنن أبي داود جـ٤ صـ ٣٣٢ - طبعة دار الفكر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، صـ ٥ .

(٣) نفس المصدر السابق، صـ: ٦٢ وما بعدها .

و- إفساد التعليم ، حيث يهدف الأعداء من مستشرقين ومن مستغربين كلما سنحت لهم الفرصة إلى إضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط [١].

ز- الاستشراق ، وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه خاصة الإسلام لأهداف مختلفة شتى، ومن أهمها تشويه صورة الإسلام وإضعاف المسلمين[٢].

ومن أخطر دراسات المستشرقين في القرن العشرين (دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات وقد اشترك في تأليفها أكثر من ٤٠٠ مستشرق وبلغت أكثر من ٣٠٠٠ مادة في أكثر من ١٠,٠٠٠ صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شُبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (٣٠٠) مطعن وانتقاصاً للعقيدة الإسلامية [٣].

وهو أمر ظاهر باعتراف كثير من المستشرقين ، يقول برنارد لويس : "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية [٤].

بل إن المستشرقين كانوا أداة للاستعمار تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول " مراد هوفمان " سفير ألمانيا في الغرب وقد هداه الله للإسلام : "مارس أكثر المستشرقين أبحاثهم لخدمة المصالح الاستعمارية وإخضاع العالم الإسلامي للغرب ، سواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي ، وعمل قليل منهم عملاء سرين بكل معاني الكلمة"[٥]. وتتعاون المخابرات الغربية لاسيما الأمريكية مع

---

(١) انظر: غزو في الصميم، عبد الرحمن الميداني، صـ ٢٠٠ دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية،١٤٠٥هـ.

(٢) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، د. خالد بن عبد الله القاسم، ص: ٢٥ رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،

(٣) نفس المصدر السابق صـ ٣٠ وما بعدها .

(٤) العرب والتاريخ - برنارد لويس- دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٥٤م، ص: ٦٣.

(٥) الإسلام كبديل - مراد هوفمان- تعريب: عادل المعلّم - صـ١٣٦ بتصرف - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

مراكز الدراسات الاستشراقية ، فيما يتعلق بالحركات الإسلامية. وبلغ أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط[1].الاستشراقية في أمريكا قرابة ١٦٠٠ عضو سنة ١٩٨٦م ووصلت أعداد العناوين للموضوعات المنشورة عن الشرق الأوسط في الدوريات المتخصصة سنة ١٩٨٧م إلى نحو ٧١ ألف مادة ، بل إن المستشرقين ينظرون إلى الشرق والإسلام نظرة استعلائية وقد ساق " إدوارد سعيد " المفكر الفلسطيني ـــ رغم أنه نصراني ولكنه منصف ـــ الشواهد العديدة لذلك في كتابه الشهير الاستشراق .

ح- التنصير ، على الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية، وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم، إلا أنهم حريصون على تنصير المسلمين، وبناء الكنائس في ديارنا، وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات، وأرسلوا البعثات التبشيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله، وعلى الرغم من الصعاب التي تقف في طريقهم، إلا أنهم ماضون في هذا الطريق، وهم يصطادون المسلمين الجهلة، وينشبون أنيابهم في فقراء المسلمين، حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم[2].

ط- إفساد المرأة ، وقد حرص الكفار على إفساد المرأة، لأن فسادها يفسد الأبناء والأزواج، فأخرجوها من بيتها، وهتكوا حجابها، وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب، وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا[3].

وأفغانستان الآن مثال حي فعندما احتلت لم ينقلوا لنا التقدم الصناعي والتقني وإنما بدأوا بإسقاط حجاب المرأة وإنشاء دور السينما.

ي- العولمة الثقافية والتغريب ، وللعولمة وجوه مفيدة في التقنية والاتصال، ولكن لها وجوه خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية الثقافية .

ويهمنا هنا ما يؤثر على الدعوة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض العادات الغربية وتغريب

---

(1) مصطلح الشرق الأوسط مصطلح غربي لطمس الهوية العربية والإسلامية ولإدخال إسرائيل فيه.

(2) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، - ص:٦٣-٦٤.

(3) نفس المصدر السابق ص:٦٣-٦٤.

المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية .

إن الغرب لا يسعى لفرض قيمه الاجتماعية فحسب رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥م، مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، ومؤتمر اسطنبول عام ١٩٩٦م، ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام ٢٠٠٠م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث... الخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات[1] .

ويتحدث الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة ، المنطوية على أن يكون الأفراد - لاحظ تعبير الأفراد - من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً - كذا- فتياناً وفتيات، ومراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة - لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية - هي كالغذاء حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م ، بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسئول[2].

---

(1) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: ٢٧.

(2) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة ٥-١٩٩٤/٩/١٥م، الترجمة العربية الرسمية ، الفصل الثامن الفقرات ٣١-٣٥، نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: ٢٧

وهاهو المستشرق الألماني هاملتون جب يجعل هدف كتابه "وجهة الإسلام" قضية التغريب، ويتساءل إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق؟، وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا الهدف؟[1].

إن هدف عدونا ذوبان الشخصية الإسلامية وذلك بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها واحتوائها بأخلاق الضعف والإنحلال والإباحية حتى لا تقوى على مواجهة التحديات وذلك أخطر أهداف العدو، فبناء أجيال ضعيفة لا تؤمن بحقها ولا تؤمن بربها ولا تستطيع أن تصمد أمام الخطر وأمام التحدي، هو ما يسعى إليه الأعداء بكل الوسائل.

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والإنسياق وراءهم، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[2]

وأنهم لن يرضوا منا بالتنازلات المحدودة وبعض الطاعة، إنما باتباع ما هم عليه، فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[3].

٢- ومن الوسائل الفكرية أيضاً محاولة تغيير الصورة والمفهوم من الداخل:

وذلك بانتقال الخطاب اللاديني من جهة الرفض الواضح للدين، إلى الدخول في نصوصه ومحاولة إنتاجه من جديد، متلائما مطواعا..!!.

وهكذا قصدوا إلانة الحديد، وهي موجة قديمة متجددة، تتبع سنة اليهود في كتابتهم الكتاب بأيديهم، ليقولوا من ثم: هذا من عند الله، ولي الألسنة بالكتاب، لتحسبوه من الكتاب، وما هو من الكتاب، والقول هو من عند الله، وما هو من عند الله.

وهذا نوع تحد كبير لأهل العلم خصوصا، فمن يفوز بإقناع الناس أن ما يقوله هو الدين الصحيح؟.

فهنا عملية إعادة صياغة لمفاهيم جديدة للدين، في قضايا أصلية محورية: الولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحرية، والمرأة، والجهاد، واتباع السلف؛ لتنسجم مع ساعة العصر وعقاربها..

وأما الوسائل العملية فتتمثل فيما يلي:

---

(١) أنور الجندي، شبهات التغريب، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ، ص:١٢.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٠.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠.

١- القوة العسكرية:

لقد عانت الأمة الإسلامية من هجمات عسكرية ظالمة استهدفت الأمة بثقافتها الإسلامية ففي السابق الحروب الصليبية الشرسة التي استهدفت الشام ومصر وأدت إلى انشغال الأمة بها قرابة قرنين من الزمان.

ثم الهجوم التتري على العراق والشام وإسقاط الخلافة العباسية وتدمير الكتب وقتل العلماء.

ثم الاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرن الماضي ومحاولته لمسخ الثقافة الإسلامية واستنزاف خيرات الأمة لمصلحته.

ثم الغزو الشيوعي على البلدان الإسلامية في القرن الماضي في آسيا الوسطى ونشر الإلحاد ثم غزو أفغانستان والشيشان واستباحة دماء المسلمين واستعمار بلادهم ونهب خيراتهم.

وما نشهده الآن من هجمة صهيونية شرسة زرعها الغرب في قلب العالم الإسلامي وتتمثل في شرذمة من اليهود اجتمعت من أنحاء العالم باختلاف لغاتهم وعرقياتهم في هجرات متتابعة بمساعدة غربية مباشرة حيث سلمت لهم بريطانيا الأمر في فلسطين ثم دعمت الولايات المتحدة عدوانهم عسكرياً ومالياً وسياسياً في طرد الفلسطينيين من بلدهم ومصادرة أملاكهم ورفع الفيتو أمام العالم لعدم إدانة اعتداءاتهم المتكررة على المدنيين بل وتجاوز العدوان على البلدان العربية حتى غير المجاورة حيث دمر المفاعل النووي العراقي، وجرى الاعتداء على الفلسطينيين في تونس.

وكان هذا الجسم الصهيوني بالمساعدة الغربية عاملاً مهماً في تأخر الأمة وإشغالها.

وما جرى من احتلال لأكثر من بلد إسلامي بحجج وهمية ظاهرة فقد دمرت أفغانستان وألقي على المدن والقرى آلاف الأطنان من القنابل ومات آلاف الأبرياء ونفس الأمر في العراق بحجج أسلحة الدمار الشامل الذي تبين أنها كذبة لاحتلال بلد إسلامي والسيطرة على خيراته وتهديد سائر البلدان الإسلامية التي لا تخضع لهم وزامن ذلك إصدار الأوامر للدول الإسلامية بضرورة التغيير الثقافي والمقصود منه تجفيف منابع الثقافة الإسلامية.

وهذه التحديات العسكرية لن تقضي على دين الله - تعالى- فقد أخبر المولى سبحانه بذلك فقال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقال عليه السلام: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله) (٢).

وإن من حكم المولى سبحانه أن تقع هذه التحديات عقوبة للمعرضين ليعودوا قال تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣) .

كما أنها بلاء للمؤمنين لرفعة الدرجات وتكفير السيئات قال تعالى : ﴿ الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (٤) .

إنها تنقي الصف وتكشف المنافقين قال تعالى : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (٥) .

---

(١) سورة التوبة الآية رقم ٣٣ .

(٢) الأحاديث المختارة – أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي – جـ١ صـ٢٥١ – مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة – الطبعة الأولى – تحقيق عبدالملك دهيش .

(٣) سورة السجدة الآية رقم ٢١ .

(٤) سورة العنكبوت الآية رقم ١ ، ٢ .

(٥) سورة العنكبوت الآية رقم ١١ .

٢- إغلاق الجمعيات الإسلامية الخيرية ووصفها بالإرهاب :

لقد تعرضت الجمعيات الخيرية الإسلامية محليا وإقليميا وعالميا لحرب شرسة قادها الولايات المتحدة الأمريكية بعد الهجوم الذي تعرضت له في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م – مع أنها أوضح وسائل المجتمع المدني الذي ينادون به في الدول الإسلامية – ووصفتها بالإرهاب دون تقديم أي أدلة يمكن الاعتماد عليها سوى تخرصات وأوهام مدعومة بالكامل بآلة القدرة على تجميد الأموال المودعة لدى البنوك الأمريكية والبنوك العالمية ، و لا تزال تلك الهجمة قائمة حتى الآن ، وبين الحين والآخر يطالعنا الرئيس الأمريكي – جورج بوش الابن – بإضافة جمعيات إسلامية خيرية لقائمة الإرهاب وتجميد الأرصدة ، وما ذاك إلا لمحاربة الإسلام ، فتلك الجمعيات تدعوا إلى الإسلام وتكفل الأيتام وتقيم المستشفيات وتحفر الآبار وتعين الفقراء وتقيم المدارس وتصب في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة الدعوة والثقافة الإسلامية.

كما تنادت جهات دولية عديدة وتحت دعوى تجفيف منابع الإرهاب إلى اتهام هذه الجمعيات الإسلامية الخيرية أيضاً بالإرهاب ، وحمل الإعلام الأوروبي

والأمريكي على هذه الجمعيات التي تقدم الدعم والمساندة المادية للمسلمين في الملمات والكوارث وتنتشر أعمالها فيما يقارب ١٠٠ دولة من دول العالم.

إن الحملة على العمل الخيري الإسلامي هدفها تحجيمه، أو القضاء عليه، ولقد اتُبعت وسائل وأساليب مختلفة بعضها إعلامي في إثارة الغبار على المؤسسات والجمعيات الخيرية، ومحاولة تشويه سمعتها، وبعضها سياسي، بوضع بعض الجمعيات على قوائم الإرهاب، وإغلاق بعض المكاتب أو اعتقال شخصيات معينة، وبعضها اقتصادي مثل منع الجمعيات الخيرية من التحويلات إلى الخارج وإنجاز مشروعاتها وتنفيذ خططها، في المساجد أو في الأسواق والمدارس.

أما سياسة تجفيف المنابع فقد اتخذت أبعاداً مختلفة داخلية وخارجية، عربية وإقليمية ودولية، في المناشط والأهداف وحتى في تحركات رموز العمل الخيري، والتحويلات وجمع التبرعات.

هذا في الوقت الذي تشجع فيه أمريكا الجمعيات التنصيرية في العالم وعلى الأخص في البلاد الإسلامية .

وإذا ما استعرضنا خلفية وحجم الإنفاق الأمريكي للعمل التطوعي ومفهومه لدى الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي في أرضه نجد إن كل عمل تطوعي خيري في أمريكا يندرج تحت ما يسمى بالجمعيات اللاربحية واللاحكومية (١) :

(Non Profit Organization)

(Non Government Organization)

وتختصر بعبارة (NGO) (NPO)

وإذا دخلنا شبكة الإنترنت وحدها تجد هناك قرابة ٢مليون موقعا تحت كلمة (NGO) ، وتشكل الجمعيات اللاربحية عاملاً فعالاً في خدمة الناتج المحلي للاقتصاد الأمريكي (GDP) وحتى نشعر بأهمية هذا الدور أقدم الأرقام الآتية لعام (١٩٩٨م) وهي الإحصائية المتوفرة حالياً من ورقة عمل قدمتها جمعية NCRP الأمريكية ومقرها واشنطون لدعم العمل التطوعي في منطقة الخليج وجاء فيها :

قد بلغ حجم التبرعات الخيرية لعام (١٩٩٨م) ١٧٥ بليون دولار يذهب

---

(١) أمريكا ونحن .. والعمل الخيري – إحصائيات وأرقام – أفكار وتوصيات – إعداد مهندس / محمد أحمد حبيب – جريدة المدينة – ملحق الرسالة – الاثنين ١٤/ذي القعدة /١٤٢٢هـ .

هـ - بث رسالة غير مباشرة لمحتاجي الإغاثة والرعاية والمتضررين بأنه ليس لهم إلاّ المنظمات التنصيرية في حين أن العمل التطوعي الإسلامي يعود عليهم بويلات أكبر مما هم فيه من ضرر حالي إضافة لما في ذلك من تهيئة لقبول الدين النصراني المسيحي عند ضعاف العقول من الشعوب الفقيرة .

و - تخذيل المسلمين المتضررين المحتاجين للمعونات والدعوة إلى فتنتهم عن دينهم بدعوى أن لا أحد جاء لإغاثتهم من المسلمين .

ز - تشويه صورة الإسلام في أعين وسائل الإعلام ومحطات التلفزة وقرنة بالإرهاب للتنفير المباشر من قبول الدعوة للإسلام، مع عدم تقديم الدليل على الأسباب الداعية لقفل وتجميد الحسابات والأرصدة بزعم أن التصريح بها يضر الأمن القومي الأمريكي، وعدم السماح لوسائل الإعلام الأمريكية بإجراء أي لقاءات مع أصحاب الحسابات المجمدة ، وتكميم أفواه أي قناة عربية تقوم بذلك مثل الحال مع قناة الجزيرة [1] .

إن هذه هي بعض الأسباب الحقيقية وراء الهجمات على العمل الخيري التطوعي الإسلامي وبقيت بعض التساؤلات الهامة للطرح وهي :

* أين الحكومة الأمريكية من التعرض للمنظمات المتطرفة اليهودية والمنظمات اليهودية النصرانية الساعية على دعم - صندوق الهيكل في القدس - والذي يجمع التبرعات من أتباع الطائفة الإنجيلية التي يصل أعضائها إلى خمسين مليوناً من الأمريكان والذين يتبرعون بانتظام لهذا الصندوق والذي يهدف لهدم المسجد الأقصى المبارك وإنشاء هيكلهم المزعوم.

* وهل علمت أن هناك أكثر من ٣٧٦٠٠ موقعاً على الإنترنت لمنظمات يهودية تطوعية خيرية في أمريكا فقط [2].

* وماذا عن البابا والكنيسة الكاثوليكية في روما ، ومعلوم أن الفاتيكان يمتلك الطائرات الخاصة النفاثة والمراكب البحرية بل وحتى جيشا خاصا به ويمكن القول أنه دولة داخل دولة إيطاليا .

أما لو كان واحد من مشايخ المسلمين لديه طائرة بمحرك واحد لأصبح إرهابياً يستحق تجميد الأموال والملاحقة !؟

(١) راجع مقال د / حمود البدر في جريدة عكاظ ليوم ١٤٢٢/١١/٢٩) .

(٢) راجع محرك بحث جوجل Google بادخال كلمة usa synagogue .

أليس هذا هو إرهاب الفكر وإرهاب الباطل ؟!

* قامت (٢٥٠) مائتان وخمسون منظمة نصرانية يهودية بأمريكا بتقديم ورقة عمل موحدة يطالبون فيها بوضع حد لتزايد أعداد المسلمين في أمريكا [1].

* أين الحكومة الأمريكية من مؤسسة تطوعية أمريكية واحدة تدعى (يونايتد ويز united ways) لديها ١٤٠٠ فرع حول أمريكا ، لو جمعت كل المؤسسات الإسلامية بالعالم لما وصل عددها لهذه المؤسسة لوحدها .

* أين نحن من جمعية مكافحة السرطان بأمريكا والتي تتلقى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً كتبرعات من الأفراد ولها فروع في كل ولاية، ولتحقيق المقارنة لا توجد بالمملكة العربية السعودية سوى جمعيتان لمكافحة السرطان تعانيان من عجز دائم بالميزانية وللمقارنة فقط فإن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بلغت ميزانيتها ٧٠ مليون ريالا فقط خلال العام الماضي [2].صرفتها على جميع مشاريعها وبرامجها بالعالم الإسلامي كله شرقه وغربه ، لاحظ مرة أخرى ٤٠٠ مليون دولار و٧٠ مليون ريال !!!! أين نحن منهم ؟؟.

* تبرعت شركة ليلي " Lilly " لمدينة نيويورك بـ ٣٠ مليون دولار بعد الأحداث ، وقد بلغ إجمالي التبرعات إلى قبل شهر ٧٠٠ مليون دولار لإغاثة نيويورك من الجمعيات اللاربحية فقط .

ثانياً : **ومن المعوقات الخارجية في طريق الدعوة الإسلامية مخططات أعداء الإسلام في الخارج والداخل ومكرهم وكيدهم.**

وهذه سنة من سنن الله الثابتة في هذه الحياة، ومَعلَم من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة [3] . قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا

(١) انظر الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني - صـ٣٣- المكتب الإسلامي للطباعة والنشر تاريخ النشر: ١/١/١٩٩٤ .

(٢) أي عام ١٤٢١ هـ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبوالفتح البيانوني - صـ٣٦٧ وما بعدها بتصرف - مؤسسة الرسالة

(٤) سورة الأنفال الآية رقم ٣٠ .

رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (٢).

وقال عز وجل : ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ (٤).

فكل هذه النصوص القرآنية تؤكد ثبوت المكر والكيد لهذا الدين، كما تؤكد شدته واستمراريته.

وكذلك أيضاً تعاون الأعداء في سبيل تطبيق هذا المكر وتنفيذ ذاك الكيد : وهذه أيضًا حقيقة قائمة، وسنة ثابتة، كشف عنها القرآن الكريم وأخبر بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم؛ فقال سبحانه: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٥).

وجاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو داود وأحمد: "يوشك أن أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قلنا: يا رسول الله! أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت" (٦).

إن الدعوة الإسلامية مستهدفة من قبل أعدائها الذين لا يتفقون على شيء قدر اتفاقهم على القضاء على الإسلام، ولم يدعوا سبيلاً إلا وسلكوه ، ومن هذه السُبُل ما يلي:

*** القضاء على الحكم الإسلامي متمثلاً في الخلافة .**

وقد نجحوا بالفعل في القضاء على الخلافة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة في أوائل القرن العشرين على يد

---

(١) سورة سبأ الآية رقم ٣٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم ٤٦ .

(٣) سورة الرعد الآية رقم ٤٢ .

(٤) سورة الطارق الآية رقم ١٥- ١٧.

(٥) سورة النمل الآية رقم ٤٨- ٥٣ .

(٦) سنن أبي داود - جـ ٤ صـ ١١١ - طبعة دار الفكر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

" كمال أتاتورك " في معاهدة " لوزان " عام ١٩٢٢م ، وكانت بنود هذه المعاهدة التي اشترطها ووضعها " كرزون " وزير خارجية انجلترا هي كما يلي (١) :

١- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تامًا ، وطرد الخليفة السلطان عبدالحميد - رحمه الله - خارج الحدود ومصادرة أمواله .

٢- إعلان علمانية الدولة ؛ أي فصل الدين عن الدولة .

٣- أن تضمن تركيا تجميد وشلّ حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية .

٤- أن يستبدل بالدستور العثماني القائم على الإسلام دستور مدني وضعي بحت .

ووقع المعاهدة عن دولة الخلافة المهزومة العميل الخائن "عصمت إينونو" وأصدر قوانينًا تقطع علاقة الأتراك بدينهم ؛ منها (٢):

أ - إلغاء الزي الإسلامي، واستبداله بالزي الغربي.

ب - وجوب لبس القبعة التي كانت رمزًا أجنبيًا.

ج - استبدال تحية الإسلام - السلام عليكم ورحمة الله - بخلع القبعة أو بالانحناء كما يفعل أربابه الغربيون!!

د - إلغاء تدريس العلوم الشرعية.

هـ - يرفع الأذان باللغة التركية وليس بالعربية.

و - تسوية المرأة بالرجل في الميراث.

ز - إلغاء نظام تعدد الزوجات.

ح - استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.

ط - ألغي يوم الجمعة كعطلة رسمية، وجعل بدلاً منه يوم الأحد .

*** محاولة القضاء على القرآن الكريم .**

إن القرآن الكريم مصدر عز الأمة وشرفها فهو الذي حول المسلمين في أرض الجزيرة من رعاة لغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم؛ لذا لم يدخر أعداؤنا وسعًا في محاولة القضاء عليه ، لا على آياته أو كلماته أو حروفه، ولكن بالحيلولة بينه وبين واقع المسلمين ، وتحويله إلى أحجبة وتمائم أو إلى مجرد كتاب يقرأ فقط ؛ لا إلى كتاب حكم وتشريع يجب على الأمة أن تنفّذ أوامره.

وهاهو المنصّر الصليبي الحقود " تاكلي " يقول : يجب أن نستخدم القرآن

---

(١) الرجل الصنم - صـ ٢٦٣ وما بعدها . مؤسسة الرسالة .

(٢) الرجل الصنم - صـ ١٠ وما بعدها و صـ ٢٩٦ وما بعدها .

وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تمامًا ، يجب أن نبيّن للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا [١].

ويقول المنصّر الصليبي "وليم جيفورد بالكراف": متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب؛ يمكننا أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمّد وكتابه[٢].

بل وأعلنها " جلاد ستون " رئيس وزراء انجلترا ــ سابقًا ــ صريحة فقال: ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين ؛ فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان ، وإن هناك أربع عقبات أمامنا للقضاء على الإسلام؛ وهي: المصحف والكعبة والأزهر وصلاة الجمعة [٣]

ولكن ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤].

• تشويه وتحريف التاريخ والفكر الإسلامي.

وذلك لفصل المسلم عن تاريخه ولتشكيكه في انتمائه ولزعزعة عقيدته ، لقد نشطوا نشاطًا كبيرًا جدًا في إحياء الأفكار الهدّامة التي تشوّه صفحة التاريخ والفكر الإسلامي ، ومن هذه الأفكار الخطيرة التي روجوا لانتشارها ما يلي [٥]:

١- إحياء الفكر الوثني الإلحادي.

٢- إحياء الفكر الفلسفي في جانب التوحيد والدعوة إلى وحدة الوجود والحلول والإشراق وغيرها.

٣- إحياء الفكر الشعوبي الباطني الخبيث وتجديد التفسير للقرآن الكريم من خلاله.

٤- إحياء فكر القرامطة.

٥- تزييف كتابة التاريخ الإسلامي.

وغير ذلك من مؤامرات التشويه والتشكيك لإخراج المسلم عن دينه في النهاية من حيث يدرى أو لا يدرى فهذا هو هدفهم الكبير الذي عبر عنه الخبيث

---

(١) الأستاذ عمر فروخ / التبشير والاستعمار : ص ٤٠ الطبعة الرابعة .

(٢) الأستاذ عبدالله التل / جذور البلاء: ٢١ – المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة .

(٣) الأستاذ محمد أسد – الإسلام على مفترق الطرق: ٣٩ – ترجمة، تحقيق: عمر فروخ – دار العلم للملايين تاريخ النشر: ١ / ١ / ١٩٨٧ م .

(٤) سورة يوسف الآية رقم ٢١ .

(٥) خواطر على طريق الدعوة – صـ٦٨ – محمد حسان – دار المسلم .

زويمر "المنصر الحقود" الذى يقول: "إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزية بناء ، أما الهدم فنعنى به : انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد ، وأما البناء فنعنى به: تنصير المسلم – إن أمكن – ليقف مع الحضارة ضد قومه"[١].

• القضاء على وحدة المسلمين .

وذلك ببث روح التناحر والتنازع على الحدود وإحياء روح العنصرية الجاهلية البغيضة لا بين الشعوب الإسلامية وبعضها فحسب؛ بل وبين أبناء الشعب الواحد، ويجسد هذه المعاني المنصّر الصليبي " لورانس براون " فيقول : إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير [٢].

• الدعوة إلى الإباحية المطلقة لهدم الأسرة المسلمة وتدمير الأخلاق.

جاء في إحدى البروتوكولات الصهيونية : يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ؛ فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد سيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذٍ تنهار أخلاقه[٣].

ثالثًا: ومن العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية من خارجها الإعلام الآخر.

إن صراع الإسلام والكفر، هو صراع الحق والباطل ، وقد تحول اليوم من صراع المواجهة الميدانية في معظمه إلى صراع الكلمة والمعلومات عن طريق هذه الوسائل التي تمكن من مخاطبة عدة مليارات من الناس في أقل وقت ممكن، وبشتى وسائل الإقناع .

إن هناك عدداً هائلاً من محطات البث الإذاعي والتلفازي ، تزيد على ٣٠٠٠ محطة ، تدعو إلى الدين المسيحي ، من أهمها: (TransWorld) وتبث برامجها بسبعين لغة ومحطة (Vatican Radio) تبث برامجها بخمسين لغة .

إن حماة الكفر وأصحاب الشهوات قد استفادوا من هذا السلاح أيما استفادة،

---

(١) ا . ل شاتليه – الغارة على العالم الإسلامي صـ٨ ترجمة محب الدين الخطيب مساعد الباقي .

(٢) جذور البلاء : ٢٠٢ – المكتب الإسلامي .

(٣) أضواء على الصهيونية – الأستاذ / مصطفى السعدني – صـ٢٢٢ وما بعدها – ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

واستعملوا أحدث الطرق الدعائية لمجابهة الحق .

فمن ٣٥ مليون كلمة التي يتم نقلها يوميا ، ٣٢ مليون كلمة تنقل عن طريق الوكالات العالمية الأربعة الكبرى للأنباء، أسوشيتدبرس ١٧ مليون كلمة، يونايتد برس ١١ مليون كلمة، رانس برس ٣٫٥ ملايين كلمة، ورويتر ١٫٥ مليون كلمة.

والمجلات المتوفرة حسب الإحصائيات حوالي ٣٨٠٠٠ مجلة في العالم ، ومن أبرزها المجلات الأمريكية التي توزع في جميع أنحاء العالم ، وأكثرها شيوعاً : «التايمز» و«النيوزويك» ، فهي توزع أسبوعيا عشرة ملايين نسخة لتعرف قراءها على السياسة والثقافة الأمريكية، وتنشر الثقافة الليبرالية، أما مجلة «ريدرز دايجست» فهي توزع ثلاثين مليون نسخة شهرياً وبسبع عشرة لغة ، وتعتبر أوسع المجلات انتشاراً في العالم ، إضافة لهذا فهناك عشرات المجلات الأخرى تحت عناوين مختلفة التي تصدر في الدول الغربية وتبث الدعاية بشكل مباشر أو غير مباشر لدول العالم ومنها الدول الإسلامية [1].

هذا ... وإن الدول الإسلامية تأخذ من البرامج والأفلام المنتجة من قبل تلك الدول الغربية ، وفي بعض الدول الإسلامية لا تصل نسبة البرامج الداخلية إلى ٢٠% من مجموع البث ، فإذاعة صوت أمريكا تدعي وجود ١٠٢ مليون مستمع لها في الأسبوع ، والجميع من البالغين، والـ B. B. C ٧٥ مليون مستمع ، وعدد ساعات بث البرامج التلفزيونية التي تنتجها تلك الدول يساعدنا على إثبات دعوانا ، فلأمريكا المركز الأول ، حيث تنتج ١٥٠ ألف ساعة بث وتنتج كل من بريطانيا وفرنسا ٢٠ ألف ساعة بث لكل منهما، أما ألمانيا فتنتج ٨ آلاف ساعة بث. وهكذا تحتل هذه الدول المركز المتقدم في هذا المجال .

وأما أفلام السينما والفيديو فلقد تغلغلت الأفلام المنتجة من قبل الدول الغربية وخصوصاً أمريكا بواسطة الأقمار الصناعية حتى وصلت إلى أقصى نقاط العالم حيث تترك هذه الأفلام آثاراً تخريبية خطيرة على ثقافة المجتمعات وخصوصا المجتمعات الإسلامية. هذا من جانب ومن جانب آخر فهي تبدد ثروات هائلة من

(١) النشاطات الإعلامية لأعداء الإسلام في العالم - علي مرتضى الزبيدي - مجلة دار إسلام العددان ١١ - ١٢ السنة الرابعة ـ شباط ١٩٩٦م /شعبان ١٤١٦

الدول الإسلامية بسبب استيراد هذه البرامج [1].

إن وسائل الإعلام تمتلك من خلال ما تبثه القدرة على تغيير نظرة الناس إلى الحياة وإلى العالم من حولهم ، من خلال تغيير مواقفهم تجاه الأشخاص والقضايا، فيتغير بالتالي، حكمهم عليها، وموقفهم منها .

وهذا التغيير لا يقتصر على الموقف من الأفراد والقضايا، بل يشمل القيم والسلوك ، فكثيرا ما قبل الناس، وتعاملوا بلا مبالاة، مع سلوك كانوا يأنفونه ويشمئزون منه، وكثيراً أيضاً ما تخلى الناس عن قيم كانت راسخة، واستبدلوا بها قيماً دخيلة، كانت موضع استهجان فيما سبق.

إن المسألة ليست هشاشة ثقافتنا، وقابليتها للاختراق ، ولا ضعف مناعة نظامنا القيمي ضد الثقافات والأفكار الأخرى، إننا أمام واقع استهدفت فيه مجتمعاتنا في أضعف حلقاتها .. أطفالها وشبابها وفتياتها ، إن سياسة تجفيف المنابع في بعض البلاد العربية والإسلامية ، وحملات الإثارة الغرائزية والشهوانية التي تقودها الفضائيات إضافة إلى انحسار الدور التربوي للبيت ، ومؤسسات المجتمع التربوية الأخرى ، وعجزها عن تحصين الأطفال والشباب أدى إلى هذا السقوط الأخلاقي الذي نشهده والخلخلة التي تهدد نظامنا القيمي والاجتماعي [2].

الإعلام الإسلامي والدور المطلوب :

بداية هناك حقيقة يجب أن نعترف بها، وهي افتقار الصحوة الإسلامية ذات الرصيد الجماهيري ، إلى الإعلام الشامل والفاعل والقادر على إيجاد بدائل مسموعة ومرئية ومقروءة، وإن كانت هذه الخطوة متأخرة وضئيلة مقارنة بمسيرة الإعلام الآخر، إلا أنها ستزرع الأمل بنقلة نوعية فيها ردة الفعل نفسه. وهذه الحقيقة المرة ستظل معضلة حقيقية نعاني معها حتى إيجاد الإعلام الإسلامي المنافس .

وتنحصر رؤية الإعلام الإسلامي تجاه الإعلام الآخر على أنه عدو ويجب بغضه ومقاطعته ، وهو الموقف الأسهل دائماً!

(٢) وسائل الإعلام هل تهدد نظامنا القيمي والإجتماعي - د. محمد الحضيف - موقع الدكتور محمد الحضيف ١٤٢٤ هـ .

إلا أن المقاطعة ستبقى حلاً مؤقتاً، لو ناسب مرحلة زمنية معينة افتراضاً، فإنه لن يناسب المراحل التي ستليها يقيناً، وكان يفترض أن يثمر هذا الموقف – على الأقل – عن دراسات ومشاريع إعلامية مستقبلية تساهم في إزالة الرهبة من خوض التجربة الإعلامية لدى الإسلاميين، وتشعرهم بأن هذا الاهتمام الكبير بالمرأة المعاصرة من قبل الإعلام الآخر، إنما هو تحكم في مستقبل هذه المرأة وصياغة جديدة لاهتماماتها على غير ما نريد ! فليس من المنطقي أمام ثورة تقنية ضخمة لوسائل الاتصال أن نربي الجماهير على الانعزال ونحرمها من التكيف الإيجابي عبر إيجاد البديل الهادف الذي يحفظ خصوصيتنا العقائدية والثقافية.

وثمة ملامح أولية لهذا التكيف أوجزها فيما يلي :

١– ضرورة توعية الأمة بأهمية الإعلام والتذكير بأننا أمة قام تاريخها المجيد من خلال وسائل إعلام ومنابر ارتفع منها صوت الخير والحق والنصح والإرشاد .

٢– تحريض النخب من الإسلاميين، من ذوي الخبرات المهنية والميدانية، لتقديم رؤاهم ومعالجاتهم، للاتكاء عليها في بداية التجربة .

٣– صناعة البدائل الإسلامية في مجال الإعلام بمختلف فنونه، على أن تكون هذه البدائل ملتزمة بالرؤية الإسلامية، ومؤطرة بالمرجعية الشرعية .

٤– الرؤية الشاملة للإعلام الإسلامي المنتظر وعدم حصره بالإعلام الديني البحت.

٥– الإلمام بالواقع الذي ينبثق منه الخطاب الإعلامي الإسلامي ويوجه إليه، بمعنى أن يكون إعلامنا تجاه المرأة المسلمة ذا هدف رئيسي ينشد تحقيقه، بحيث يبني شخصية المرأة المتلقية المرنة والمستقلة، القادرة فيما بعد على تفنيد ما تسمعه أو تراه أو تقرأه![1].

ولا ريب أن الإسراع في مواجهة الإعلام الاستعماري بجميع انتماءاته ، وبما ينطوي عليه من أهوال و أهوال ، وفق نظام إعلامي قويم مضاد ، هو أول ما ينبغي الشروع فيه .

رابعاً : ومن المعوقات الخارجية التي تواجه الدعوة الإسلامية القنوات الفضائية.

من أعظم الفتن في هذا الزمن فتنة الإعلام المنحرف الذي استخدم أدوات متعددة لتغيير عقائد ومفاهيم كثير من الناس

---

(١) انظرموقع لها أون لاين –على شبكة الأنترنت.

فالشاشة لها نصيب الأسد والمجلات والصحف لها تأثير بالغ والقصص والروايات نخرت في الأمة بحسن السبك وقوة العاطفة أما الإذاعة والسينما والمسرح وغيرها فلها رواد كُثر قلبت الحقائق لدرجة يصعب على الشخص تصديق سرعة التحول لدى الناس ...

منذ سنوات قريبة بدأ الغزو المكثف لإزالة حاجز التقاء الرجل مع المرأة لقاءً محرماً .. فزين الأمر بأنها علاقة شريفة وصداقة حميمة وحب صادق ! وإذا وقع المحظور فهو نتيجة طبيعية للمشاعر الفياضة بين الطرفين .

ولم تسمع بكلمة الزنا والزاني والزانية في وسائل الإعلام البتة ! بل زين الأمر حق للمرأة البغي التي تعرض نفسها على الرجال الأجانب فسميت بائعة الهوى وصاحبة الحب المتدفق!

وغُرست أمور في قلوب الناشئة أصبحت اليوم من المُسلمات ! وهي في قلوب الكبار بين موافقة ورفض وكل نفس بما كسبت رهينة !

صرف الشاب عن الطاعة والدعوة والجهاد إلى ملاعب الكرة ومشاهدة الأفلام والمسلسلات والتشبه بالكفار !

وصرفت الفتاة إلى الأزياء والحلي والعري والخلاعة ..

والمجال خصب والمرتع وخيم فهناك شهوات تؤجج ونيران تتقد بحثاً عن الحرام ! ومع هذا الانصراف نجد الموافقة في الغالب من المربين آباء وأمهات ! ولهذا انتشرت العلاقات المحرمة وهدرت الطاقات وضيعت الأوقات !

لم يكتف الإعلام بهذا بل سارع إلى إيقاد نار العداوة والبغضاء وأصلّ لكره مفتعل بين الزوج وزوجته ، وبين الأب وأبنائه !

فقيل للابن أنت حر ، وقيل للبنت تمردي على القيود أنت ملكة نفسك !

ورغبة في الإلهاء وإرضاء الغرور والتغرير بدأت العبارات الرنانة تتكرر كل يوم : أنتِ جميلة وفاتنة وراقية وصاحبة ذوق !

وأصبح الحديث كله عن الحب المزعوم في حلة ملطخة بالعهر والذنوب .

واستمر التحريض ليصل الاعتداء على الوالدين والزوج والأخ حتى وصل إلى ذروة الأمر فحرضت المرأة على الشريعة!

فالحجاب قيدُ أغلال والزواج ظلم وتعد وتسلط وتجبر وإنجاب الأبناء عمل غير مجد !

أما طاعة الوالدين فعبث والمحبة للزوج ذلة وضعف ، وخدمته جبروت وقسوة !

في سنوات قليلة صدق بعض النساء الأمر فتمردن على الزوج وحددن النسل بطفل أو اثنين!

وتفلتت المرأة في طريق مظلم ليس فيه إلا عواء الذئاب والهاوية تقترب !

وتكبرت الزوجة على أم الزوج حتى جعلتها شبحاً مخيفاً وبعبعاً قادماً !

أما المطلقة فهي في نظرهم صاحبة جريمة لا تغتفر إذ هي مطلقة ! [1].

لقد تزايد في هذا الزمان كيد الكفار أعداء الله وأعداء دينه وأعداء عباده المؤمنين، مستهدفين ديار المسلمين، يبتغون خلخلة دينهم وزعزعة إيمانهم وتدمير أخلاقهم وإفساد سلوكهم ونشر الفاحشة والرذيلة بينهم وإخراجهم من حظيرة الإسلام . (لا بلغهم الله ما يريدون) .

ولقد كانوا سابقا يعجزون عن الوصول إلى أفكار الشباب وعقول الناشئة لبث ما لديهم من سموم وعرض ما عندهم من كفر و إلحاد و مجون، أما الآن فقد أصبحت تحمل أفكارهم الرياح، إنها رياح مهلكة، بل أعاصير مدمرة تقصف بالمبادئ والقيم، وتدمر الأديان والأخلاق، وتقتلع جذور الفضيلة والصلاح، وتجتث أصول الحق واليقين.

لقد تمكن أعداء دين الله من خلال القنوات الفضائية والبث المباشر من الوصول إلى العقول والأفكار، ومن الدخول إلى المساكن والبيوت، يحملون نتنهم وسمومهم، ويبثون كفرهم وإلحادهم و مجونهم، وينشرون رذائلهم وحقاراتهم وفجورهم في مشاهد زور، ومدارس خنى وفجور، تطبع في نفوس النساء والشباب محبة العشق والفساد والخمور، بل إنها بمثابة شرك الكيد وحبائل الصيد تقتنص القلوب الضعيفة وتصطاد النفوس الغافلة، فتفسد عقائدها، وتحرف أخلاقها وتوقعها في الافتتان، ولا أشد من الفتنة التي تغزو الناس في عقر دورهم ووسط بيوتهم محمومة مسمومة محملة بالشر والفساد .

ومن أسف ! بل ومما يملؤ القلب حزناً وكمداً أن أصبح في أبناء المسلمين و بناتهم من يجلس أمام هذه الشاشات المدمرة ساعات طوال، و أوقات كثار

([1]) شبكة الإنترنت – منتدى أنا مسلمة – التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات – ٧ ربيع الأول ١٤٢٥هـ .
"http://www.muslmh.com/vb/archive/index.php"

يصغي بسمعه إلى هؤلاء، وينظر بعينه إلى ما يعرضون ويُقبل بقلبه و قالبه على ما يقدمون ومع مر الأيام تتسلل الأفكار الخبيثة وتتعمق المبادئ الهدامة وتغري العقول والأفكار، ويتحقق للكفار ما يريدون قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء ﴾ [2] .

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [4] .

إن من يتأمل الأضرار والأخطار التي يجنيها من يشاهد ما يبثه هؤلاء عبر الفضائيات يجدها كثيرة لا تحصى وعديدة لا تُستقصى ، أضرار عقائدية، وأضرار اجتماعية، وأضرار أخلاقية وأضرار فكرية ونفسية.

فمن الأضرار العقائدية خلخلة عقائد المسلمين والتشكيك فيها ليعيش المسلم في حيرة واضطراب، وشك وارتياب، واضعاف عقيدة الولاء والبراء والحب والبغض فينصرف المسلم عن حب الله وحب دينه وحب المسلمين إلى حب زعماء الباطل ورموز الفساد ودعاة المجون، إضافة إلى ما فيها من دعوات صريحة إلى تقليد النصارى وغيرهم من الكفار في عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم وغير ذلك.

ومن الأضرار الاجتماعية ما تبثه تلك القنوات الآثمة من الدعوة إلى الجريمة بعرض مشاهد العنف والقتل والخطف والاغتصاب، والدعوة إلى تكوين العصابات للاعتداء والإجرام، وتعليم السرقة والاحتيال والاختلاس والتزوير، والدعوة إلى الاختلاط والسفور والتعري وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، والدعوة إلى إقامة العلاقات الجنسية الفاسدة لتشيع الفاحشة وتنشر الرذيلة إضافة إلى ما فيها من إكساب النفوس طابع العنف والعدوان بمشاهدة أفلام العنف والدماء والرصاص والأسلحة والجريمة، ناهيك عما تسببه تلك المشاهدات من إضاعة للفرائض والواجبات و إهمال للطاعات والعبادات ولاسيما الصلوات الخمس التي هي ركن من أركان الإسلام . إلى غير ذلك من

([1]) سورة القلم الآية رقم : ٨، ٩ .
([2]) سورة النساء الآية رقم : ٨٩ .
([3]) سورة البقرة الآية رقم : ١٠٩ .
([4]) سورة آل عمران الآية رقم : ٦٩ .

الأضرار والأخطار التي يصعب حصرها ويطول عدها [١]، قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً *وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [٢].

هذا بعض ما يقوم به هؤلاءِ ويسعون إلى الوصول إليه، فما الواجب علينا تجاه ذلك كله، أيليق بالمسلم أن يصغى لكيدهم و يركن لشرهم ويستمع لباطلهم، أيليق بالمسلم أن يرضى لنفسه وأبنائه وبناته الجلوس لمشاهدة ما ينشره هؤلاء و الاستماع إلى ما يبثون، أيليق بالمسلم أن يرضى لنفسه بالدنية ولأهل بيته بالخزي والعار و الوزية .

لقد حذر الله عباده من الركون إلى الكفار، وبين عظم شرهم وكبر خطرهم وفداحة كيدهم ومكرهم، وبين سبحانه لعباده السبيل السوية التي من سلكها نجا ومن سار عليها هدي إلى صراط مستقيم، إنها العودة الصادقة لدين الله والاعتصام الكامل بحبله والسير الحثيث على نهج رسول الله و الصبر على ذلك كله إلى حين لقاء الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [٣] .

إن المسئولية تجاه النشأ عظيمة، والواجب نحوهم كبير، فهم أمانة في الأعناق، وكل مسئول عمن يعول يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلآئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول في أهله، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[٥].

وروى النسائي بإسناد صحيح عن أنس بن مالك أن رسول الله قال: " إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك

---

(١) عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر- منتديات عبرة العربية على شبكة الأنترنت .

(٢) سورة الطارق الآيات رقم : ١٥ -١٧ .

(٣) سورة آل عمران الآية رقم : ١٢٠

(٤) سورة التحريم الآية رقم : ٦ .

(٥) صحيح البخاري جـ١ صـ٣٠٤ .

أم ضيّع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"[١].

وروى مسلم في صحيحه عن معقل بن يسار قال: سمعت رسول الله يقول: " ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة " [٢].

خامساً - ومن المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية من خارجها ما يستتر ويختفي تحت شعار العلم متخذاً منه مانعاً من جهة ومعبراً يعبر منه إلى عقول الشباب المعاصر من جهة أخرى .

ومن ذلك ما يلي :

(١) النزعات والمذاهب والفلسفات المادية التي تفد من الشرق والغرب على السواء والتي تلتقي على غاية واحدة وهي قلع جذور الدين والتدين من العقول والقلوب .

ولكي تتغلب الدعوة على هذا التحدي لابد لها من دراسة كل هذه الفلسفات ودحضها بالمنطق والبرهان والحجة الساطعة القوية حتى نؤمن عقول شبابنا المسلم من كل زيغ وهوى دخيل .

(٢) الإتجاه العلماني الذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، وهذا أمر مرفوض في مجتمع يستظل بالإسلام ، فالدين الحق والعلم الصحيح إخوان ، والداعون للعلمانية في مجتمعات الإسلام هدامون ينطلقون من منطلقات جاهلة أو حاقدة [٣].

وهذا الاتجاه وفد على البلاد الإسلامية عن طريق " كمال أتاتورك " الذي حالف اليهود والمسيحيين على السواء وأراد أن يعمل بمبادئهم التي يعتنقونها في مجتمعاتهم ويريدون من ذلك أن يفصلوا الدين عن الدنيا حتى يظل الدين محبوساً بين جدران المعابد ، وإذا صح أن يعمل بهذا الاتجاه في البلاد الأوروبية فإنه عندما وفد إلى البلاد الإسلامية لم يسمح لهم الإسلام بذلك لأن الدولة في فقه الإسلام قسم للدين لا قسيم فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين ، كذلك لم تكن الدولة الإسلامية لتسمح بقيام العلمانية إلى جوار

---

(١) سنن النسائي الكبرى - جـ٥ صـ ٣٧٤ - دار الكتب العلمي بيروت - الطبعة الأولى - تحقيق د عبدالغفار البنداري .

(٢) صحيح مسلم - جـ١ صـ١٢٥ .

(٣) مشكلات الدعوة والدعاة - الدكتور الذهبي - مجلة منار الإسلام - العدد السابع - السنة التاسعة - جمادى الآخر ١٤٠٤ هـ صـ٣٢ بتصرف .

الإسلام بمقولة أن الإسلام يبقى داخل دائرة العقيدة أو الشعيرة وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة ، لأن الإسلام عقيدة وشعيرة وشريعة وهو في هذا لا يقبل التجزئة أو التفرقة ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما يدينون لله في مجال العقيدة والشعيرة .

(٣) الانفصام الموجود بين الجامعات والمراكز التي تتولى شئون البحث العلمي في بلاد إسلامية متعددة وبين روح الإسلام ونظرته للعلم والعلماء ، وهي ثمرة مرة جاءت نتاجاً غير صالح لما كان من فصل متعمد بين التعليم الديني والتعليم المدني الذي أرسى الاستعمار قواعده، ورسخ أصوله، وأحدث ثغرة هائلة في بنية المجتمع الإسلامي المعاصر، يجسدها هذا الانفصام بين مراكز التوجيه والقيادة الفكرية فيه، وبين الإسلام على درجات متفاوتة[1].

سادساً : ومن العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية من خارجها تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة .

إن أساليب الأعداء في هذا المضمار كثيرة وعديدة، فمنهم من يدخل على المسلمين في مواجهات صريحة مكشوفة للقضاء عليهم واستئصال دعوتهم، ومنهم من يحاول الاحتواء للدعوة وأصحابها، ومنهم من يعمد إلى المراوغة والمخادعة، ومنهم من يستدرج الدعاة إلى ما فيه حتفهم وهلاكهم.

فكلما استنفد الأعداء أسلوبًا أو ثبت لهم فشله في مكان، اختاروا أسلوبًا آخر جديدًا مناسبًا وعملوا على تطوير أساليبهم باستمرار على وجه يحقق لهم أهدافهم ويوصلهم إلى غاياتهم. وقد عرض القرآن كثيرًا من تلك الأساليب والوسائل المتنوعة التي استخدمها أعداء دعوة الله على مدى التاريخ، والتي لا يزالون يكررونها ويطورون فيها إلى اليوم.

ومن ذلك أيضاً قوة وسائلهم المادية، وتسخير العلوم الحديثة والدراسات والتقنيات في سبيل تحقيق أهدافهم ، فإننا نرى بأم أعيننا ما وصلوا إليه من تقدم علمي وتقني في مختلف جوانب الحياة المادية. كما نرى كثرة مراكز الأبحاث والدراسات التي ينشؤونها وينفقون عليها في سبيل دراسة واقع العالم الإسلامي من جميع جوانبه المادية والمعنوية.

---

(١) نفس المصدر السابق – صـ٣٣ بتصرف .

كما يعقدون المؤتمرات والمعاهدات والندوات والاتفاقات بينهم وبين تلك الدول الضعيفة ليتمكنوا منها . فلا يوفرون وسيلة من الوسائل في سبيل تحقيق أهدافهم، عدا تفوقهم العلمي والتقني .

سبل مواجهة هذه المعوقات :

هذه هي أبرز المشكلات والعقبات الخارجية التي تواجه الدعوة الإسلامية اليوم وتعوق مسيرتها. والمتتبع لواقع الدعوة يرى الدعاة يجتهدون دائمًا في معالجة مثل هذه العقبات، وتختلف آراؤهم واجتهاداتهم في الأساليب والوسائل المتبعة في ذلك. ولكن الملاحظ: أنهم كلما عالجوا مشكلة أو عقبة، برزت أمامهم تلك العقبة والمشكلة أو غيرها بثوب جديد وصورة مغايرة.. مما قد يصيب البعض بنوع من الاستسلام أو اليأس! وهذا يدعونا إلى أن نختار طريقًا جديدًا في معالجة هذه المشكلات الخارجية، ومن طرق العلاج ما يلي :

أولاً : التنبيه إلى المعالم الإلهية والسنن الربانية في هذا الأمر ، ذلك لأن المشكلات الخارجية – كما سبق – مشكلات قديمة، واجهت الدعوة إلى الله في جميع مراحل تاريخها ، فما من رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا وقد واجه والمؤمنون معه مثل هذه العقبات والمشكلات ، وكانت العاقبة للمؤمنين بعد ذلك .

ولم تكن العقبات في زمنهم خفيفة أو بسيطة – كما يتوهم البعض – وإنما كانت في بعض الأحوال والأزمان على أشدها وأقواها، والشدة والخفة أمران نسبيان من وقت لآخر بحسب طبيعة كل عصر وإمكاناته. ولكنها سنة الله الثابتة التي لا تتغير[1]. قال تعالى: (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)[2].

وقال سبحانه : (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)[3].

وقد بين الله عز وجل معالم معالجة هذه العقبات الخارجية التي تواجه الدعوة الربانية مهما كان نوعها في أمرين اثنين متلازمين مترابطين هما :

١ – التقوى: فقد جاءت آيات عديدة تربط بين هذين الأمرين في مجال معالجة

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة – محمد أبوالفتح اليانوني – صـ٣٧٠ وما بعدها بتصرف – مؤسسة الرسالة

(٢) سورة الأسراء الآية رقم ٧٧ .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٦٢ .

العقبات والنجاة من كيد الأعداء ومكرهم فقال تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1].

وقال عز وجل : ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[2].

كما قال سبحانه بعد عرض العقبات والمشكلات التي واجهت يوسف عليه السلام: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

ولكننا كثيرًا ما نمر على هذه الآيات القرآنية وأمثالها ولا ننتبه إلى معانيها، وإلى أنها تقرر حقيقة قاطعة وسنة ثابتة في الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة ، لابد للمسلمين من الإفادة منها، والعمل على أساسها، وإلا كان عملهم دون جدوى..!

ومما يجدر التنبه إليه والتبصر به في هذا المقام: أن التقوى التي يتحدث عنها القرآن ويأمر بها ويكررها على مسامعنا، ليست كلمة تقال، أو دعوى تدعى، إنما هي حالة نفسية خاصة، تعرف بآثارها ومظاهرها.

كما أن الصبر المذكور في هذه الآيات الكريمة ليس أمرًا هينًا، وإنما هو من عزائم الأمور التي تتطلب جهادًا ومجاهدة، والتي تعرف بمظاهرها وآثارها أيضًا. ولعل من أبرز مظاهر التقوى المطلوبة في مواجهة العقبات:

أ- إخلاص المؤمن لله عز وجل في نيته وقوله وعمله وجميع شؤونه. فالإخلاص هو الذي يقي الأعمال من أن تحبط وتضيع آثارها، وهو الذي يقي صاحبه من كيد الأعداء في الدنيا، ومن نار الله في الآخرة. وقد جاء في الحديث الشريف: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[4].

ب- التزام طاعة الله سبحانه واجتناب نهيه، ومن هنا عرف بعض العلماء التقوى بقوله: "أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن

(1) سورة آل عمران الآية رقم ١٢٠ .
(2) سورة آل عمران الآية رقم ١٨٦ .
(3) سورة يوسف الآية رقم ٩٠ .
(4) صحيح البخاري – جـ ١ صـ ٣ .

لا يفقدك حيث أمرك"[1]. وقال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[2].

ج- التواصي بين المؤمنين بالحق والصبر، وتبادل النصيحة والشورى فيما بينهم، والتآمر بينهم بالمعروف والتناهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3].

وجاء في الحديث الشريف: " الدين النصيحة "[4]. فجعلها صلى الله عليه وسلم أساس الدين وجوهره.

د – إتقان العمل الصالح، والاستمرار عليه، وتوخي الحكمة فيه: "إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[5].. ومن العمل الصالح الذي يدخل في هذا:

الاستمرار في دعوة الآخرين إلى الحق والهدى، والحرص على هداية الناس، وعدم اليأس من صلاحهم، فبالدعوة الصحيحة الحكيمة قد ينقلب العدو صديقًا، وتتحول قوة الأعداء إلى قوة للمسلمين ، كما حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية.

هـ – تحقيق وحدة الصف بين العاملين، ونبذ الشقاق والتفرق عنهم، ولاسيما عند مواجهة الأعداء. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[6].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[7].

و- ومن ذلك أيضًا: اللجوء إلى الله وحده، والإكثار من ذكره والتضرع إليه

(1) حلية الأولياء – أبونعيم الأصفهاني – جـ ٧ صـ ٣٥٨ – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة .
(2) سورة الأحزاب الآية رقم ٧٠ ، ٧١ .
(3) سورة العصر كاملة .
(4) صحيح البخاري – جـ ١ صـ ٣٠ .
(5) المعجم الأوسط – الطبراني – جـ ١ صـ ٢٧٥ – دار الحرمين القاهرة – ١٤١٥ هـ – تحقيق طارق بن عوض الله .
(6) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦ .
(7) سورة الصف الآية رقم ٤ .

في السراء والضراء. قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

هذا عن مظاهر التقوى المطلوبة عند مواجهة الأعداء.

٢- أما عن الصبر المطلوب ومظاهره فمنها :

أ- الاستمرار في العمل الحكيم، والثبات على التقوى والعمل الصالح.. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ب- البذل والتضحية في سبيل الله، والجهاد بالمال والنفس، والوقت، وجميع ما يملكه الإنسان. قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (٣). وقال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (٤).

ج- التعقل في العمل، وعدم التعجل في النتيجة، وضبط النفس. قال تعالى: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) (٥).

د- عدم الركون إلى الأعداء وعدم توليهم، وإعلان البراءة منهم، وتجنب الخضوع والتنازل عن أمور الدين من أجلهم. قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾ (٦). وقال سبحانه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (٧).

هـ- التصديق بوعد الله، والجزم بأن العاقبة للمتقين. قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾ (٨).

وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٩).

---

(١) سورة الأنفال لآية رقم ٤٥.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٢٠٠

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٢.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٢.

(٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٣٧ .

(٦) سورة الإنسان الآية رقم ٣٧ .

(٧) سورة هود الآية رقم ١١٢ ، ١١٣ .

(٨) سورة الروم الآية رقم ٦٠ .

(٩) سورة يونس الآية رقم ١٠٣ .

و- تفويض الأمر لله سبحانه، وصدق التوكل عليه فهو القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢).

إلى غير ذلك من معالم وتوجيهات قرآنية، لو تنبه إليها الدعاة، وتمسكوا بها مجتمعة، لما وقفت أمامهم عقبة، ولا عسرت عليهم مشكلة.

ثانياً : تعزيز القوة بأقوى سلاح ، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣). وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المهزوم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت القوة ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الدونية ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٤).

ثالثاً : العناية بثقافتنا الإسلامية ، وباللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

رابعاً : إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وقارئته للمسلمين قبل غيرهم ليستطيعوا مجادلتهم ويعتزوا بهويتهم.

خامساً : العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً وتقنياً، ومحاولة أسباب التخلف والفساد، وعليها أن تغير ما بأنفسها من تخلف وتقاعس، فإن من سنن الله -سبحانه وتعالى- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٨١ .

(٢) سورة النور الآية رقم ٥٧ .

(٣) سورة المنافقون الآية رقم ٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٣ .

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

سادساً: مواجهة التحديات بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

سابعاً: تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بكتاب الله – عز وجل– قال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا"[2]، ثم التعامل معها إن وجدت بإيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها.

ثامناً: ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث أن حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها. ولكن لا يجوز فهم الحرية على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط الشرع[3].

تاسعاً: أن نتعرف على الآخرين وثقافاتهم، والكشف على مواطن القوة والضعف في الثقافات المختلفة لا سيما الغربية، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية[4].

وأن يواكب ذلك عملية أخرى هي عملية التخلص من الإحساس بمركزية الغرب، ونزع صفة العالمية والعلمية والمطلقية عن حضارته[5].

عاشراً: أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تمحيص، كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال

---

(1) سورة الرعد الآية رقم ١١.

(2) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

(3) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميم، الطبعة الأولى ١٤٢٢ –٢٠٠١م، ص: ٢٦٣.

(4) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشيبي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص: ٢٥١.

(5) العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير ٢٠٠١م، ص: ٢٥٣.

الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

حادي عشر: أن يقوم الإعلام بتعزيز الهوية وكشف العولمة والتغريب، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدام كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي ينجح في تأصيل القيم، والمهارات، والمعارف، والمعلومات في مؤسسات المجتمع ومنظماته، وتحصين الأطفال ضد ثقافة الاستهلاك والتغريب، وتقديم مادة غنية ثرية تحدث أثراً إيجابياً، وتترك صدى قوياً بنفس الصغير والتلميذ والطالب والشاب وتساعد على اكتشاف ما يملك من طاقات ومهارات[1].

ثاني عشر: تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى[2]. وأن نثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما تراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من عقيدة وقيم وتراث وتقاليد اجتماعية عريقة[3].

ثالث عشر: تشجيع المؤسسات الدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسة عملها ودعمها بكل طريق مادي ومعنوي، وعدم السقوط في فخ الأعداء بتصيد أخطائها وتشويه سمعتها عند حدوث خطأ ما، وإنما بالنصيحة الإيجابية الفاعلة، وما نراه بفضل الله – تعالى– من مؤسسات إسلامية ودعوية مساعدة للمسلمين للحفاظ على هويتهم لا سيما خارج الدول الإسلامية، سواء كانت مراكز أو مدارس إسلامية أو وسائل إعلامية، كمواقع الإنترنت أو شركات الإنتاج أو إذاعات القرآن الكريم، أو مكاتب دعوة الجاليات الإسلامية، أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم، إلى غير ذلك من هذه المؤسسات، لتسهم ضد هذه التحديات، لذا لا نستبعد أن تكون هذه المؤسسات الخيرية أحد استهدافات الأعداء، ومحاولة لرميها بالإرهاب بكل طريق ومحاربة أنشطتها وتشويه سمعتها وتجفيف مواردها.

---

(1) مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، المجلة العربية، صـ ٣٠.

(2) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، ٤-٦/٥/١٩٩٨م، بحث للدكتور/ حسين علوان حسين بعنوان: العولمة والثقافة العربية، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص: ١٢٦.

(3) انظر: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشيبي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص: ٢٥١.

وبعد : فهذه هي أهم المعالم والبصائر في مواجهة المعوقات المتعلقة بالدعوة الإسلامية، ولابد لنا تجاهها من الصدق والمجاهدة، ومن الصبر والمصابرة. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

الفصل الثاني
المعوقات المتعلقة بالدعاة إلى الله تعالى وسبل مواجهتها

على درب الحياة عقبات كثيرة ومنعطفات خطيرة تعترض سبيل الدعاة إلى الله تعالى وتتهدد مصير العاملين للإسلام .. لكن الإعداد السليم والتوجيه القويم ودوام التحذير والتذكير من شأنه أن يكسب الأفراد مناعة تقيهم غوائل الانحراف والتردي وتُعدهم على الزمن لمواجهة مفاتن الدنيا ومغرياتها .

على أنه يجب أن يعلم الدعاة إلى الله تعالى أنه ليس هناك داعية منذ خلق الله الخلق ، ابتداء من الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – وانتهاء بآخر داعية مؤمن إلا وتواجهه الصعوبات والعقبات ، فطريق الدعاة هو طريق الجنة ، وطريق الجنة محفوف بالمكاره ، ولم نسمع عن داعية قط فرشت له الأرض بالورود والرياحين ، وأقيمت له حفلات الاستقبال ومدت له موائد الطعام ، فمن كان طريقه كذلك فليراجع نفسه ، وليلتمس طريقه ، وليجدد إيمانه بدعوته ولينظر في تاريخ الدعاة والمصلحين ، فأين يجد نفسه منهم ؟ وأين نسب دعوته من دعوتهم؟.

(١) سورة العنكبوت الآية رقم ٦٩ .

إن العقبات في طريق الدعاة هي المؤشر الأول على سلامة المسيرة ، وإن الصعوبات التي تواجههم هي الضوء الأخضر الذي يمنحهم إجازة الاستمرار في طريقهم ، لهذا فإن وجود عقبات في طريق الدعاة ليس نقصاً في حقهم ، ولا عيباً فيما يدعون إليه كما يزعم كثير ممن يجهلون تاريخ الدعوة ، فقد سمعنا من بعضهم أن المحن التي تنزل بالدعاة إلى الله دليل على غضب الله عليهم ، ولو أنهم كانوا صادقين فيما يدعون إليه لحماهم الله ورفع عنهم البلاء .

إن هذا التفكير تفكير ساذج ، وهذه النظرة نظرة سطحية ، تشبه نظرة الطفل الصغير إلى الحياة ، فإذا لم تكن كلها زينات وأفراحاً ومرحاً وأعياداً ، فإنها بالنسبة إليه تكون سجناً مهما تراءت آفاقه ، واتسعت أرجاؤه ، أما ذوو العقول الكبيرة والتفكير الناضج ، فإنهم يرون هذه العقبات جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الحياة ، وإن الحياة بدونها ليست هي الحياة التي ألفها الناس ، وخلقت لمعاشهم ، لذلك فهم يتقبلونها بالتسليم والرضا .

إن الدعاة يرون هذه العقبات لازمة من لوازم الدعوة لا تنفك عنها ولا تخلو منها ، لذلك فهم مطمئنون على سلامة المسيرة ما داموا يجدون الصعوبات ، ويواجهون العقبات ، تلك هي الحقيقة التي يجب أن يؤمن بها الدعاة ، ويجب كذلك أن يفهمها المدعون (١).

هذا .. وإننا نجد أن العقبات التي تواجه الدعاة في كل زمان ومكان واحدة ، غير أن الأسلوب الذي تُؤدى به قد يختلف تبعاً لاختلاف المنكرين ، وإن القرآن الكريم ليعبر عن هذه العقبات المتكررة في وجه كل داعية بقوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٢).

هذا .. وتنقسم المعوقات التي تواجه الدعاة إلى الله عز وجل إلى قسمين :

معوقات ذاتية : ونعني بها تلك المعوقات التي تتعلق بالدعاة أنفسهم .

معوقات خارجية : ونعني بها تلك المعوقات التي تواجه الدعاة إلى الله تعالى من مختلف الجهات الخارجية التي تناوئ الإسلام .

القسم الأول : المعوقات الذاتية ، وأهمها ما يلي :

(١) استمرارية الدعوة – د/ محمد السيد الوكيل – صـ ١٠٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) سورة الذاريات . آية رقم : ٥٢ ، ٥٣ .

أولاً : جهل بعض الدعاة بالمصادر الأساسية للدعوة .

لا شك أن لكل إنسان مرجعيته في هذه الحياة، وإذا عرف الإنسان ذلك هانت عليه كثير من الأمور.

والداعية إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة من أمره، عالماً بمرجعيته مطلعا على مصادر دعوته، لا أن يتخلى عن هذه المصادر ويهملها ليسير وحده في طريق وعر، دون أن يكون عنده أساس يبني عليه منهجه ويعرج عليه عند الخلاف والشقاق.

إن بعض الدعاة جاهلون بالمنهج والأسلوب الدعوى اللائق لكل حادث، والواجب تطوير وتجديد المناهج والأساليب وفق التطورات والأحداث المتغيرة لتكون الدعوة في مستواها المطلوب.

ومن المعلوم أن مصادر الداعية هي كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف الأمة الصالح، فإذا ما كثف الداعية اطلاعه على هذه المصادر كان ذلك من أسباب توفيقه في دعوته، وأما إهماله إياها واعتقاده بأن الدعوة إلى الله يمكن أن تكون بغيرها وأن تسير بدونها فإن هذا من أسباب الفشل والخذلان، وهذا هو السبب في عزوف كثير من المدعوين عن الاستجابة إلى الداعية، إذ أنه في الحقيقة لم يستطع أن يربطهم بالله ورسوله لعدم ارتباطه هو بذلك.

كما أن عدم الاطلاع على السيرة النبوية من العوائق في طريق الدعوة إلى الله، إذ أن طريق الدعوة إلى الله جل وعلا مليء بالأشواك محفوف بالمكاره، ولذا نجد بعض الدعاة لا يستطيع إكمال طريقه والاستمرار فيه لمجرد أذى يحصل له أو مكروه ينزل بأسرته أو نحو ذلك، ولو رجع هذا إلى السيرة النبوية سيجد أن ما تعرض له لا يمثل شيئاً بالنسبة لما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، فتهدأ نفسه ويعلم أن ذلك سنة الله في خلقه،قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [1].

وعندما يظل الداعية في دعوته شهورا ولا يستجيب له إلا القليل من الناس ويقرأ أن النبي صلى الله عليه وسلم ظل في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله ولا يستجيب له إلا القليل ، سيدعوه

---

(1) سورة الأنعام. آية رقم ٣٤ .

ذلك إلى الصبر والمجاهدة والاستمرار وعدم اليأس، وهكذا ترى أن الفائدة العظمى من الاطلاع على السيرة النبوية إيجاد الكثير من الحلول الواقعية لحال الدعوة والدعاة إلى الله .

ثانيا :عدم معرفة أدب الخلاف .

إن الخلاف بين الدعاة أو العلماء أو طلاب العلم في المسائل الشرعية، أو في طرق ومناهج الدعوة، أو في الوسائل والغايات أو غير ذلك من الأمور التي لا يخلو منها جيل ولا مجتمع، وذلك لما فطر الله الناس عليه من اختلاف عقولهم وأفهامهم، وهذا الأمر ليس وليد هذا العصر وإنما هو منذ القدم، وحدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، " فلما انتهت غزوة الأحزاب ورجع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة جاءه جبريل عليه السلام ليخبره أن الله يأمره بالتوجه إلى بني قريظة، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة " [1].

فاختلف الصحابة في مراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أراد النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الأمر وهو عدم صلاة العصر إلا بعد الوصول لبني قريظة، وقال بعضهم بل أراد أن يستعجلنا في التجهز والسير إلى بني قريظة فكنى بذلك عن هذا. ولا شك أن مثل هذا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعنفهم، وهذا هو المراد من هذا الأمر.

إنه ما دام الخلاف حادثاً وواقعاً فإننا لن نستطيع أن نزيله، لكن نستطيع أن نخفف منه، وذلك بالحوار المفيد النافع الهادف بالرجوع إلى الكتاب والسنة لضبط آرائنا وقراراتنا.

فإذا بقي هناك نوع من الخلاف فإن علينا مراعاة أدب الخلاف، كما كان عليه السلف الصالح.

إن الخلاف لا يعني أبدا أن يسفه بعضنا بعضا، أو أن يتهم بعضنا بعضا بتهم لا تليق بالمسلمين، وأن يتحول الخلاف من مجرد خلاف إلى حرب يشنها المتخالفون بعضهم على بعض .

وإنما لا بد من أن يعذر بعضنا بعضا، وتبقى الصلة والمودة والتواصل والشعور بالجماعة والأمة الواحدة، عند ذلك تثمر الدعوة إلى الله ونصل بها إلى ما نريد.

ثالثا : الرغبة في الصدارة .

لا غرابة في حرص أهل الدنيا على الإمارة والولايات؛ فذلك أمر تعوّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة،

---

(1) صحيح البخاري – جـ١ – صـ٣٢١ .

وأدى كثير منها إلى سقوط بعض الدول، كسقوط الأندلس وغيرها.

لكن الغريب أن يتسلل هذا الداء إلى داخل التجمعات الدعوية، ويسيطر على بعض النفوس المريضة، شعرت أم لم تشعر، حتى يصير همّ الواحد منهم أن يسود على بضعة أفراد، دون التفكير بتوابع ذلك وخطورته، وأنها أمانة، ويوم القيامة خزي وندامة.

إن الحرص على الإمارة يفسد دين المرء الحريص عليها، ويضيع نصيبه في الآخرة، ويجعله شخصاً غير صالح لهذا المنصب، وتوضيح ذلك كما يلي:

١- تحذير النبي- صلى الله عليه وسلم- من عواقب التطلع إلى الإمارة: قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه)[1].

فبين صلى الله عليه وسلم أن الفساد الحاصل للعبد من جراء حرصه على المال والشرف : أشد من الفساد الحاصل للغنم التي غاب عنها رعاتها ليلاً، وأرسل فيها ذئبان جائعان يفترسان ويأكلان، وإذا كان لا ينجو من الغنم إلا القليل منها؛ فإن الحريص على المال والشرف لا يكاد يسلم له دينه.

٢- النهي عن سؤال الإمارة : وقد وردت نصوص تنهى عن سؤال الإمارة وتمنيها، وتحذّر من ذلك، وتبين عاقبته، وتنهى عن تولية من سألها أو حرص عليها. وهي وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها واردة في الإمارة الدنيوية - إمارة السلطان والوالي - إلا أن دلالتها أشمل من ذلك وأوسع، فهي تتناول ما نحن بصدد الحديث عنه. ومن تلك الأحاديث:

أ - قول النبي: (يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير)[2].وفي رواية: (لا يتمنّين)، والنهي عن التمني أبلغ من النهي عن الطلب [3].

ب- وقوله: (إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة)[4].فهي

(١) مسند الإمام أحمد - جـ٣ صـ ٤٦٠ - مؤسسة قرطبة مصر .

(٢) صحيح البخاري - جـ٦ - صـ٢٤٤٣ .

(٣) فتح الباري - الحافظ ابن حجر - جـ ١٣ صـ ١٢٤ - دار المعرفة بيروت .

(٤)صحيح البخاري - جـ٦- صـ٢٦١٣ .

محبوبة للنفس في الدنيا، ولكنها (بئست الفاطمة) بعد الموت؛ حين يصير صاحبها للحساب والعقاب. وفي رواية أخرى: (أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل)[1].

ج - وقال- صلى الله عليه وسلم- للرجلين اللذين سألاه الإمارة: (إنا لا نولّي هذا مَنْ سأله، ولا من حرص عليه)[2].

والسبب في عدم توليته الإمارة لمن سألها أنه غير صالح ولا مؤهل لهذا الأمر؛ لأن سؤاله له وحرصه عليه ينبئ عن محذورين عظيمين :

الأول : الحرص على الدنيا وإرادة العلو، وقد تبيّن ما فيه.

الثاني : أن في سؤاله نوع اتكال على نفسه، وعُجباً بقدراتها وغروراً بإمكاناتها، وانقطاعاً عن الاستعانة بالله - عز وجل - التي لا غنى لعبد عنها طرفة عين، ولا توفيق له إلا بمعونته - سبحانه وتعالى -[3].

فما أشبه حرص الداعية على رئاسة مركز إسلامي، أو إدارة مكتب دعوي، أو ترؤس لجنة، أو هيئة، أو مجموعة... ما أشبه كل ذلك بما نهى عنه- صلى الله عليه وسلم-، نسأل الله السلامة من الفتنة.

وما أحسن وصف شدّاد بن أوس - رضي الله عنه - لها بالشهوة الخفية حين قال محذراً: (يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء و الشهوة الخفية ، قيل لأبي داود السجستاني ما الشهوة الخفية ؟

قال حب الرياسة فهي خفية تخفى على الناس و كثيرا ما تخفى على صاحبها .)[4].وصدق والله؛ فإنها مهلكة كالرياء. وعلى كثرة ما ورد من التحذير من حب المال؛ فإنها أشد إهلاكاً منه، والزهد فيها أصعب؛ لأن المال يبذل في حب الرئاسة والشرف.

لقد ابتلي بهذه الشهوة كثير من العلماء والعباد والدعاة والمجاهدون ولحوهم؛ وذلك أنهم منعوا أنفسهم من المعاصي والشهوات، حتى لم يعد لهم فيها مطمع، ولكن نفوس بعضهم تبحث عن بديل ومكافأة لشدة المجاهدة، فتجده في التظاهر بالصلاح والعلم والدعوة... ولذة القبول عند الخلق، وتوقيرهم له واحترامهم وطاعتهم، فيهون عليها ترك

(١) المعجم الأوسط - الطبراني - جـ ٧ صـ ٢٦ .

(٢)صحيح البخاري - جـ٦ - صـ ٢٦١٤ .

(٣)انظر: شرح جوامع الأخبار - السعدي - ص ١٠٥. ضمن المجموعة الكاملة.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير جـ١٦ صـ٣٤٦. مكتبة ابن تيمية - الطبعة الثالثة - تحقيق عبدالرحمن النجدي .

المعاصي؛ لأنها وجدت لذة أعظم منها، وهذه مكيدة عظيمة؛ فقد يظن العبد نفسه مخلصاً، وهو في عداد المنافقين والعياذ بالله [١].

ولكن يا ترى ما هي أسباب هذا الأمر في الحقيقة ؟ [٢].

إن هذه الأسباب هي :

أ- ضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله ، الذي بسببه يركن هؤلاء إلى الدنيا، ويؤثروها على الآخرة، وأشد من هذا : فساد النيّة، واتخاذ سبيل العلم والدعوة سُلماً لنيل الأغراض الشخصية، وما لهذا في الآخرة من نصيب، فلْيَنَلْ حظه من الدنيا!! .

ب- وهناك أخطاء تربوية تسهم في إشعال فتيل حب الزعامة، منها: الإكثار من مدحه والثناء عليه، أو عدم الكشف عن الطاقات الكامنة في المتربي لتوظيفها فيما يناسبها، مما يجعله يسعى لتوظيفها في هلاكه، ومنها: الغفلة عن بدور هذا المرض الأولية التي قد تبدو في سن مبكرة من المراحل التربوية، فتحتاج إلى تهذيب وترشيد ومتابعة؛ لئلا تجمح بصاحبها.

ج- التوهم بخدمة الدعوة من خلال المنصب، والظن ـ أحياناً ـ بأن الإصلاح لا يكون إلا من مصدر القوة، وسبب هذا : عدم وضوح المنهج النبوي في الدعوة.

د- طبيعة الشخص نفسه، فقد يكون فيها من الثغرات ما يسبب مثل هذا، كالغيرة من أقرانه الذين نالوا ما يتمناه هو ، أو غروره بسبب تفوقه على غيره، أو بروزه في الدعوة أو النسب، أو توليه بعض المسؤوليات والمهام.

هـ- الظن بأن المنصب تشريف، والغفلة عن كونه تكليفاً ثقيلاً، ومسؤولية ضخمة، وعبئاً ثقيلاً، وهذا يتطلب من صاحبه التضحية بوقته وماله ونفسه وراحته لمصلحة الآخرين، وأن التقصير فيه خيانة للأمانة وتضييع للواجب.

علاج هذه الآفة :

بعد تدبر الأسباب يظهر أن العلاج يتطلب خطوات أهمها[٣]:

١- تكثيف التربية الإيمانية؛ القائمة على الإخلاص والتجرد لله ـ تبارك

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٦٧. وانظر سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٩١،١٩٢.

(٢) انظر: مشكلات وحلول، للبلالي، ص ٨٥،

(٣) انظر آفات على الطريق، ج١، ص ٧٢، ومشكلات وحلول، ص ٨٦، ١٤٤.

وتعالى ـ، والعمل للآخرة، والزهد في الدنيا.

٢- التربية على الطاعة وهضم النفس منذ الصغر، والرضا بالموقع الذي يعمل فيه، وأداء واجبه أياً كان نوعه، كما صوّر النبي - صلى الله عليه وسلم- تلك الحال في قوله: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشَفّع) [١].

٣- التزام الضوابط الشرعية في المدح، وتجنب مدح أحد الأقران أمام قرينه مطلقاً.

٤ - توضيح الأسس الشرعية لاختيار الأمير، وأنه لا يجوز طلب الإمارة، ولا الحرص عليها، وأن من طلبها لا يُوَلاّها، وإن وُلّيها لم يُعَن عليها.

٥- المصارحة والمكاشفة لمن تبدو عليه علامات الحرص، مع إحسان الظن به، فقد يكون متميزاً أو لديه مهارات فطرية، ومن ثَمّ النصيحة الفردية، فقد نصح النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ في هذا الأمر خاصة.

٦- تبيان الآثار المفسدة لنفس العالم والداعية من جرّاء حرصه عليها.

٧- توضيح تبعاتها في الدنيا والآخرة. ومما ورد في ذلك: قوله: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة) [٢].

وقوله : (ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفك عنه العدل أو يوبقه الجور) قال : فقال بعضهم : يوبقه الجور) [٣].

٨- الاعتبار بحال السلف الصالح في تواضعهم لله ـ تعالى ـ، وكراهيتهم الشهرة والتصدّر، وكل ما يؤدي إليها، ومحاولة عزل أنفسهم من بعض المواقع كما حصل من أبي بكر، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وعمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنهم ـ، والأمثلة كثيرة... تركوها لله، لانشغالهم بمرضاته، وتوحّد همّهم وقصدهم، فتكفّل الله لهم بخير الدارين، فعوّضهم الله بشرف التقوى، وهيبة الخلق، قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وداً﴾ [٤].

(١) صحيح البخاري جـ٣صـ١٠٥٧ .

(٢ صحيح البخاري جـ٦صـ٢٦١٤.

(٣) سنن البيهقي الكبرى - جـ٣ - صـ ١٢٩.

(٤)سورة مريم الآية رقم : ٩٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (وما تواضع أحد لله إلارفعه الله)[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[2].

ولا يمكن بحال تحصيل هذه المنزلة لمن كان في قلبه حب المكانة في قلوب الخلق في الدنيا؛ لأن هذا من أعظم الصوارف عن الله ــ تعالى ــ. كتب وهب بن منبه إلى مكحول: (أما بعد: فإنك إن أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى). والمراد بالعلم الباطن: المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته ومراقبته، والتوكل عليه والرضى بقضائه والإقبال عليه دون سواه... فمن أغفل نفسه بالمحافظة على ما حصل له من منزلة عند الخلق كان ذلك حظه من الدنيا، وانقطع به عن الله[3].

التوازن بين كراهية الصدارة والشهرة وبين وجوب قيادة الناس :

لا ينبغي أن يفهم من هذا الموضوع إرادة قتل الطموح، وتفضيل دنو الهمة والقعود والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات، وفروض الكفايات ــ خاصة إذا تعينت على الأكفاء ــ، وترك اغتنام الفرص النافعة في الدعوة إلى الله عز وجل .

وقد جعل ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ الفرق بين الأمرين كالفرق بين تعظيم أمر الله وتعظيم النفس. فالناصح لله المعظم لله يحب نصرة دينه، فلا يضره تمنيه أن يكون ذلك بسببه وأن يكون قدوة في الخير. أما طالب الرياسة فهو ساعٍ في حظوظ دنياه، ولذا ترتب على قصده مفاسد لا حصر لها[4].

والمقصود أن الداعية المخلص يكره التصدر والإمارة والشهرة بطبعه؛ لإخلاصه وبعده عن الرياء، ولكنه في نفس الوقت هو صاحب المبادرة الخيرة، وهو فارس الميدان إذا تعين عليه التصدر؛ وقد حكى الله من دعاء المؤمنين قولهم: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[5]. أي: أئمة هدى يقتدى بأفعالهم،وهذا لشدة

(١) صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٠١ .

(٢)صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٢٧٧ .

(٣) انظر شرح حديث (ما ذئبان جائعان...)، ص

(٤) انظر: الروح – صـ ٥٦٠ ــ ٥٦٢.

(٥) سورة الفرقان الآية رقم ٧٤ .

محبتهم لله، وتعظيمهم لأمره، ونصحهم له، ليكون الدين كله لله، وليكون العباد ممتثلين لأمره.

وقال ــ سبحانه وتعالى ــ قاصاً كلام يوسف ــ عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. وليس ذلك حرصاً منه على الولاية، وإنما هو رغبة في النفع العام، وقد عرف من نفسه الكفاية والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فقصده إصلاح أموال الناس، وهو جزء من رسالة الداعية إلى الله، الذي يكون همه الأول فعل الخير طلباً لمرضاة الله – تعالى– وليس قصده إرواء غليله، وإرضاء شهوته في الزعامة؛ فالضابط فيها هي النية والموازنة بين المصالح والمفاسد العامة.

وبالجملة: فهاتان الآيتان توضحان أن المسلم هو الرائد والدليل، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة، بل قد تتعين عليه للمصلحة. والأدلة والأقوال المحذرة لا تنطبق على داعية تصدّر لإرجاع قومه إلى الحق، حتى لو اشتهر وعرف فلا بأس[2]. ويجب التنبيه إلى أن هذا الأمر مزلق؛ لالتباس النية فيه كثيراً، وصعوبة تمحيص القصد، وذلك علمه إلى الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3].

الكشف عن القدرات :

كون بعض الدعاة لا يصلح للإمارة لا يعني إخفاقه وضعفه في كل شيء، بل إن غاية الأمر أنه لم يؤت قدرة في هذا الجانب، وقد يكون لديه من القدرات والإمكانات في العلم والعمل ما يفوق ما عند غيره ممن أهل للإمارة مثلاً، وهذه سنة الله ــ تعالى ــ في توزيع القدرات، ليحصل التكامل والتوازن، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[4]. فعلى العبد أن يفتش في نفسه عما هو أهل له، ليقوم بحق الله تعالى فيه.

(١) سورة يوسف الآية رقم ٥٥ .

(٢)انظر: التنازع والتوازن في حياة المسلم – محمد بن حسن بن عقيل بن موسى – ص٥٥، ٦١ .

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٣٠ .

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ١٦٥ .

عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[1].

واليهود ـ عليهم لعائن الله ـ: ﴿ ظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾[2].

٧- نفور الناس وكراهيتهم؛ لأن الله يبغض المعجب.

٨- العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتبختر المعجب الأرض.

ومن آثاره على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمعجبين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المعجبين حال الشدائد.

علاج العُجب:

إن أول ما ينبغي أن يتوجه إليه العلاج: معالجة أسباب العجب، ومجاهدة النفس على اجتنابها ويمكن تفصيل خطوات العلاج فيما يلي:

١- الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويزيد الإيمان؛ فإن الإيمان الكامل والعجب لا يجتمعان. وتحصيل العلم النافع دليل على أن الله أراد بعبده خيراً.

٢- الحرص على ما يعين على تحصيل ذلك من الإقبال على كتاب الله، واستلهام الفهم منه ومن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وسيرة السلف الصالحين، ومجالسة العلماء والدعاة الصادقين، والأخذ من علومهم.

٣- اتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد.

٤- النظر إلى العاملين النشيطين، والتأمل في سيرهم وحياتهم.

٥- التأكيد على المسؤولية الفردية في محاسبة النفس ومتابعتها، حسب خطوات العلاج السابقة كلها، وتفقد القلب في نيته عند كل عمل، قال عبد الله ابن أبي جعفر: (إذا كان المرء يحدّث في مجلس، فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليتحدث)[3].

ولكن يجب التنبه إلى أن هذا يكون في حدود التأديب والعلاج، لا يتعداه إلى ترك العمل خشية العجب أو الرياء.

كما أن المحاسبة قد تتطلب أحياناً تعريض النفس بين الحين والحين لبعض

(١) سورة التوبة الآية رقم: ٢٥.

(٢) سورة الحشر الآية رقم: ٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٦ ص ١٠.

المواقف التي تكشف جماح كبريائها، وتعرفها بمكانتها اللائقة، كخدمة من هو أصغر منه، أو حمل متاعه بنفسه، على نحو ما أُثِرَ عن كثير من السلف. ولا غنى للعبد في كل هذه الوسائل عن الاستعانة بالله تبارك وتعالى، واللجوء إليه، لجوء العبد الضعيف المفتقر إلى عون مولاه ومدده وهداه وتوفيقه.

خامساً: الإهمال في الاطلاع على أحوال الناس وواقعهم.

يلاحظ على بعض الدعاة إهمالهم للاطلاع على أحوال الناس ومشاكلهم واهتماماتهم، وبالتالي فإن دعوته في الحقيقة لا تكون ملبية لحاجاتهم النفسية ولا مزيلة لهمومهم ومشاكلهم، ولو وفق الداعية لربط دعوته بما عليه واقع الناس لكان لدعوته أثر واضح بين، ولعرف كيف يدخل إلى قلوب الناس من خلال أحوالهم وواقعهم.

سادساً: النقد الشخصي وليس نقد المنهج.

كثير من الشباب المنضمين إلى قافلة الدعاة تجدهم لا هم لهم إلا النقد، والنقد في حد ذاته مفيد ونافع إذا أحسن استخدامه، وكان الهدف منه الاطلاع على مواطن الخلل لتصحيحها وتفاديها، ويتضح ذلك عندما يكون النقد للمنهج نفسه بغض النظر عن الأشخاص، ولكن عندما يتحول النقد إلى نقد لاذع للأشخاص للتقليل من شأنهم والتهوين من أثرهم ومحاولة صرف الناس عنهم عند ذلك يصبح هدما وليس بناء، ويصبح عقبة كؤوداً، وكم خسرت الدعوة الإسلامية بسبب أناس لا هم لهم إلا النقد وتلمس الأخطاء وتتبع الزلات، ثم بعد ذلك لا يحاولون إصلاح ما وجدوا ولا تفادي ما تلمسوه.

سابعاً: الاهتمام بالصغائر دون الأصول.

من الأمور العجيبة عند بعض الدعاة الاهتمام بصغائر الأمور وتجاهل الأمور الكبيرة التي تستحق الاهتمام والمتابعة، فتجد بعضهم يركز على بعض الأحكام الشرعية والسنن والمندوبات وينسى ربط الناس بالله وإصلاح قلوبهم وتهذيب نفوسهم، ولذا تجد أن هذه النوعية بمجرد تعرضها لموقف أو ضغط أو شبهة يتركون ما هم عليه من الالتزام المؤقت، ذلك أن فعلهم هذا لم يربط بالله ربطا وثيقا يجعلهم يضحون من أجله.

إننا لا ننكر أن تعريف الناس بأحكام دينهم واجبات وسنن ومحرمات ومكروهات أمر مطلوب بل ولازم، ولكن أن يهتم بهذا الأمر قبل بناء

النفوس، وعلى حساب تقوية الإيمان في قلوب الناس وزرع الخوف والرجاء في صدورهم، هذا هو الخلل البين ومن نظر في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وجد أنه عليه الصلاة والسلام قد حرص أولا بل ظل ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى تطهير قلوبهم من دنس الاعتقاد، ويدعوهم إلى حقيقة التوحيد والإيمان بالله، ثم بعد ذلك بدأت الأحكام الشرعية تنزل شيئا فشيئا، ولكن بعد أن تأهلت قلوب الناس لأخذها وأصبحت نفوسهم متطلعة لتطبيقها، ولذا فإنه بمجرد نزول أمر من السماء تجد الصحابة يسارعون إلى تطبيقه لما تشرب في قلوبهم من الإيمان الصادق.

ثامنا : الارتباط بالأشخاص دون المبدأ.

الارتباط بالمبادئ يختلف عن الارتباط بالأشخاص ، ذلك لأن المبادئ أمر ثابت والأشخاص يتغيرون ويتقلبون، ولذا فإن الله جل وعلا أنزل في كتابه توبيخا للمسلمين لضعف نفوسهم عندما بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، فقال سبحانه ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [1].

هذا هو المبدأ الذي ينبغي للداعية أن يتحلى به، إنه يدعو إلى الله إلى شرع الله إلى دين الله، فلتكن دعوته متعلقة بالله وبدين الله، بغض النظر عن الأشخاص الذين يعملون معه أو العلماء الذين درس عليهم ، ولا يعني هذا أن يكون كل شخص يدعو على حده دون ارتباط بعالم أو داعية ذي خبرة واطلاع، ولكن المقصود ألا تكون الدعوة متوقفة على داعية بعينه أو عالم بشخصه، فإذا ما تولى هذا الشخص أو عرض له عارض توقفت الدعوة وأهملت.

تاسعا : استعجال الثمرة .

أما استعجال الثمرة فهو العائق الذي لا يكاد ينفك منه إلا القليل من الدعاة الذين من الله عليهم بتفهم ما هم عليه. وهذا العائق هو السبب الذي جعل الكثير لا يهتم بأمر الدعوة أو يخشى المضي فيها.

إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث أنه رأى الأنبياء يأتون يوم القيامة ومعهم الرهط، ويأتي بعضهم ومعه الثلاثة، وبعضهم يأتي ومعه الاثنان أو الواحد، وبعضهم يأتي وليس معه أحد .

---

(1) سورة آل عمران الآية رقم : ١٤٤ .

ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي قال: " عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد "[1]

فمن تدبر في قوله صلى الله عليه وسلم هذا علم أن الثمرة لا يسأل عنها الداعية أصلا، وإنما يسأل هل بلغ دعوته أم لا .

قال تعالى : "ما على الرسول إلا البلاغ" [2].

وقال سبحانه : "إن عليك إلا البلاغ"[3].

وقال عز وجل :"إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" [4].

عاشرا : عدم القدرة على الجهر بكلمة الحق .

ومن العقبات التي تواجه الداعية أيضاً : عدم القدرة على الجهر بكلمة الحق إزاء الوضع السائد في المجتمع ، وينشأ ذلك من الوضع العام الذي يطلب إلى الداعية أن يعمل من خلاله ، وأن يساير أوضاعه ، وأن يغمض العينين عما يقدم عليه رجال في مواقع المسئولية من تصرفات تعارض القيم التي يحمل الداعية راية الدعوة إليها ، ويقع بين شقي الرحى حينما يوجه إليه سؤال أو يرى وضعاً معيناً ، ويطلب منه جمهوره أن يكشف لهم عن وجه الحق فيه ، أو أن يجد بحكم مسئوليته الدينية أن يبين عن مدى اتفاق هذا التصرف ، أو ذلك الوضع مع القيم التي يدعوا الناس إلى الأخذ بها ، والسير على منهاجها فإن أبدى وجهة نظر صادقة واعية أمينة عرّض نفسه لمؤاخذات لا يدري لها نهاية ، ووضع مستقبله ومستقبل بنيه في مهب الريح ، وإن أغمض الطرف عما في هذه الأوضاع من مخالفات ، وعما بها من تعارض مع القيم التي يدعوا الناس إليها ، ويحثهم على اتباعها فقد ثقة الناس فيه ولم يجد لدعوته سميعاً حين يدعوا ، وتلقى الناس ما يقوله بالاستهزاء والسخرية ، وشر ما يصاب به الداعية في مجال عمله أن يجد نفسه في وادٍ ومن يدعوهم في وادٍ آخر .

وعلاج هذه الظاهرة أن يؤمن للداعي مستقبله ، ويُحمى من التعرض له في حريته أو رزقه أو مستقبل أولاده ، فإن تحقق له ذلك استطاع أن يجهر بالحق دون خوف ، وأن يواجه الخطأ فيدعوا إلى إصلاحه على ضوء ما تدعوا إليه القيم

---

(1) صحيح البخاري جـ٥ صـ٢١٧٠.
(2) سورة المائدة الآية رقم : ٩٩ .
(3) سورة الشورى الآية رقم : ٤٨ .
(4) سورة القصص الآية رقم : ٥٦ .

والمعتقدات التي يؤمن بها ويدعوا إليها ، وحين ذاك يتردد صاحب النفوذ والمسئولية قبل أن يقدم على تصرف ما ، لأنه يدرك أن هناك من يجرؤ على التنديد بما يقدم عليه من خطأ دون خوف أو وقوع تحت طائلة التهديد أو العقاب ، وبذلك يستقيم قطاع كبير من المجتمع ، وتمضي الأمور في يسر وسهوله ، هذا إلى جانب أن هذا النوع ممن يكونون في أيديهم مقاليد الأمور يرون أن مكانتهم ستقوى ، ومراكزهم ستثبت حينما يعرف عنهم الالتزام بالحق والحرص على العدل، وفي الوقت نفسه سينال الداعية ثقة المدعوين والجماهير التي يعمل بينها ، فتسموا مكانته ، ويُسمع له حينما يقول، ويُطاع حينما يأمر ، ويؤخذ برأيه حينما تحتاج الأمور إلى مراجعة وبحث ، لأنه صار معروفاً أنه لا يخاف في الله لومة لائم ، والنتيجة الطبيعية لذلك أن تتوثق الصلات بين أفراد المجتمع حاكمين ومحكومين ، وأن تستجيب النفوس للنصيحة لأنها صادرة عن حر الإرادة يقول ما يعتقد دون التعرض لمصادرة أو مطاردة أو مضايقة أو ما شاكل ذلك من الأساليب التي نعرفها جميعاً والتي تعجُّ بها مجتمعاتنا الإسلامية [1].

حادي عشر : اتباع الهوى .

وهذه هي القاصمة التي تصم الآذان عن سماع الحق ، وتعمي الأبصار عن رؤية الدليل ولو كان صحيحًا قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [2] ولخطورة هذا الداء العضال حذر الله جل وعلا منه نبيًا كريمًا من أنبيائه؛ فقال سبحانه: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [3].

نعم فالهوى ملك عَسُوف ، وسلطان ظالم ، دانت له القلوب وانقادت له الجوارح إلا من رحم ربك .

ورحم الله من قال [4]:

وكل امرئ يدري مواقع رشده
ولكنه أعمى أسير هواه
يشير عليه الناصحون بجهده
فيأبى قبول النصح وهو يراه

---

[1] الدعوة والدعاة في العصر الحديث ، د/ محمد إبراهيم الجيوشي ، صـ٦٢ وما بعدها بتصرف .

[2] سورة القصص : ٥٠ .

[3] سورة ص : ٢٦ .

[4] ابن الجوزي – ذم الهوى – صـ٣٥ – تحقيق مصطفى عبدالواحد .

هوى نفسه يعميه عن قصد رشده
ويبصر عن فهم عيوب سواه

فهذه العقبة الخطيرة من أعظم التحديات التى تواجه الحركة الإسلامية فى هذه الظروف الحرجة ، وما يقع من فصائل العمل الإسلامى خير شاهد على ما نقول ، وهذا واقع مر لا يغفل عنه إلا من حبس نفسه فى مكتب مكيف أو جلس يُنَظِّرُ للحركة من برج عاجى !!

وما زلنا نرى من أبناء الحركة الإسلامية من إذا تكلم عن جماعته تغاضى عن جميع أخطائها، ولو بُين له ذلك بالدليل من القرآن والسنة ظل يبرر ويبرر حتى تصل أخيرًا هذه الأخطاء – أحياناً – إلى محاسن! فجماعته هي جماعة المسلمين، وهي وحدها التي على الحق، وما عداها من الجماعات فهي على الباطل .

وكل ما تفعله جماعته فهو شرعى وكل ما يصدر عنها فهو الصواب ، وكل تاريخها أمجاد ، وكل رجالها وقاداتها ملائكة !!

فإن تحدث عن شيخه أو أميره فى الجماعة ، بالغ مبالغة كبيرة ، فشيخه هو الأوسع علماً ، والأقوى حُجة ، والأنصع دليلاً ، وإن قال شيخه قولاً صار حجةً لا ينبغى أن تناقش ، وإن أفتى شيخه فتوى صارت مُلزمةً لا ينبغى أن تُرد ، بل وقد يوالى ويعادى إخوانه عليها ، علماً بأن الله تعالى ما تعبدنا بقول فلان أو فلان من العلماء والأئمة كلا، إنما تعبدنا بما جاء فى القرآن الكريم وما صح عن رسوله الأمين ﷺ وكل عالم أو إمام يؤخذ منه ويُرد عليه إلا المعصوم ﷺ فهو وحده الذى يؤخذ منه ولا يرد عليه ، قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى﴾ [1].

ومن أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية : "وصاحبُ الهوى يُعميه الهوى ويصمّه ، فلا يستحضر ماالله ورسوله فى ذلك ، ولا يطلبه ولا يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذى يرضى له ويغضب له أنه السنّة ، وأنه الحق ، وهو الدين ، فإذا قدر أن الذى معه ، هو الحق المحض دين الإسلام ، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ، ليُعظم هو ويثنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً ، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ، ولم يكن مجاهداً فى سبيل الله فكيف إذا

---

[1] سورة النجم . الآيتان رقم : ٣، ٤ .

كان الذى يَدعى الحق والسنة هو كنظيره ، ومعه حق وباطل وسنة وبدعة ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة؟!"[١]

وهذه العقبة الخطيرة – اتباع الهوى – تحتاج من الدعاة إلى صبر طويل وإلى جهاد مرير لهوى النفس وشهواتها والاستعلاء على رغباتها طاعة لله وطمعاً فى رضاه وهذا لا يكون إلا بالتجرد والإخلاص والعمل ابتغاء مرضاة الله جل وعلا ، بغض النظر على لسان من أُعلنت كلمةُ الحق ما دامت كلمةُ الحق ستقال ، وبغض النظر عن من الذى سيرفع راية الإسلام ما دامت راية الإسلام ستظل مرفوعة خفاقة عالية تعانق كواكب الجوزاء ، وبغض النظر عن مكاننا على طريق الدعوة هل هو فى مكان الصدارة والقيادة أم هو فى المؤخرة بين صفوف الجنود ما دام عملنا على طول الطريق خالصاً لله جل وعلا [٢].

ثاني عشر : شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل والفكرة عن التطبيق .

ومن المشكلات أيضاً شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل والفكرة عن التطبيق عند كثير من الدعاة؛ مما شوَّه كمال الدعوة وجمالها عند العامة، وأفقدها مصداقيتها عند كثير من المدعوين، فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله، ولا يستقيم سلوكه، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣].

وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ثم لا يرى أثر ذلك في نفسه وأسرته؛ فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، ويكفي في أثر ذلك في الآخرة أن يصبح مصير هذا الداعية مصير ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار؛ فقد جاء في الحديث الشريف: ﴿يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، مالك؟! ألم تأمر بالمعروف وتَنْهَ عن المنكر؟! فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه﴾ [٤].

---

[١] منهاج السنة النبوية (٥/٢٥٦) .

[٢] خواطر في طريق الدعوة – صـ ٨٠ .

[٣] صحيح مسلم – جـ ٤ – صـ ٢٢٩٠- دار إحياء التراث العربي بيروت.

[٤] سورة الصف الآية رقم : ٢، ٣ .

ثالث عشر : شيوع ظاهرة انفصال الفقه عن الفكر في صفوف الدعاة .

كما أن من المشكلات أيضاً شيوع ظاهرة انفصال الفقه عن الفكر في صفوف الدعاة؛ مما جعل بعض الدعاة يجهلون كثيراً من أحكام الدين؛ مما وزَّع علماء الأمة والعاملين فيها إلى طبقتين متباعدتين من العلماء والفقهاء من جهة، ومن المفكرين والدعاة من جهة أخرى؛ حتى أحدث ذلك خللاً كبيراً في المفاهيم والتصورات، وخروجاً عن الأحكام الشرعية، وانحرافاً عن الصراط المستقيم؛ مما أوقع البعض في تناقضات عجيبة، وجرَّهم إلى مواقف غريبة في كثير من الأحيان. وتكمن الخطورة في عدم التفرقة عند العامة بين العلماء الراسخين الذين تصدر الأمة عنهم عند الأزمات وبين الدُّعاة والكتّاب والموجِّهين .

رابع عشر : قلة الوعي في صفوف كثير من الدعاة .

ومن المشكلات قلة الوعي في صفوف كثير من الدعاة، وغفلتهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى؛ مما جعل كثيراً منهم تحرِّكهم العواطف وتخدعهم الشعارات، ويقفون مواقف شتى تجرُّهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم؛ لذا فإن من واجب الداعية النظر في المآلات والمقاصد؛ لأن الهدف هو إحقاق الحق لا الانتصار للرأي.

خامس عشر : خطأ كثير من الدعاة في مفهوم الدعوة الإسلامية .

ومن أهم مشكلات الدعوة وعقباتها في واقعنا المعاصر خطأ كثير من الدعاة في مفهوم الدعوة الإسلامية، وتحوُّلها عند كثير منهم من دعوة ربانية هادفة وإرث نبوي شريف إلى شكليات فارغة وتنظيمات وتحزبات وتصنيف، وتشنُّج في اتباع منهج معين، وانشغال هؤلاء بسلبيات أولئك ونقدهم والحطّ من قدرهم. وقد أثر هذا الخطأ في طبيعة كثير من الدعاة ومناهجهم وأساليبهم، وحوَّلهم من دعاة هادين مهديين إلى رجالات دنيا تسيرهم مطامعهم وطموحاتهم، وتحكمهم منافعهم ومصالحهم.

وفي ظنّي أن من أهم أسباب ذلك هو قصر بعض الدعاة مفهوم الدعوة على عنصر من عناصرها، ودعوتهم إلى العمل به وحده، وإنكارهم على من يعمل بالعناصر الدعوية الأخرى. فالدعوة عند بعضهم تبليغ فقط، أو تعليم، أو في فقه الواقع، أو في أسس العقيدة فقط؛ مما أثَّر

في إضعاف الدعوة وتشويه جمالها وشمولها من جهة، وأوقع بعض الدعاة في النيل من بعضهم وتوجيه النقد لغيرهم بسبب ذلك من جهة أخرى.

ومعلوم أن الدعوة تبليغ وبيان، وتعليم وتربية، وتطبيق وتنفيذ، وإذا كان مقبولاً من بعض الدعاة أن يتخصصوا في العمل بعنصر من عناصر الدعوة أو أكثر تبعاً لاستعداداتهم وإمكاناتهم وظروفهم فلا يقبل من هؤلاء أن ينظروا إلى العمل بالعناصر الأخرى نظرة استنكار، أو يروه خروجاً عن طبيعة الدعوة.

إن تكرار حدوث الأخطاء في طريق الدعوة، وقلة الاستفادة من التجارب السابقة وأخذ العبرة منها، من أهم مشكلات الدعوة؛ لأن وجود الأخطاء أمر طبيعي نظراً إلى الضعف البشري، ولكن المستنكر تكرار الخطأ وعدم الإفادة من التجارب السابقة، ففي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) [1].

و قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) [2]،

فلو وقف الداعية مع مسيرته ومسيرة غيره في الدعوة، ونظر فيها إلى الإيجابيات فعزّزها، وإلى السلبيات والأخطاء فتلافاها؛ فإن النتائج بإذن الله تعالى ستكون موفقة.

سادس عشر : عدم معرفة اللغات الأجنبية.

ومن العقبات التي تواجه الدعاة أيضاً : عدم معرفة اللغات الأجنبية ، فاللغة تمثل مشكلة كبيرة يواجهها الدعاة الذين يوفدون للعمل في بلاد غير بلادهم ويتحدثون لغة غير لغتهم ومما لا شك فيه أننا بحاجة ماسة إلى أن نعد فريقاً من الدعاة يكونون قادرين على التحدث ببعض اللغات الأوروبية ، وفهمها فهماً جيداً لسببين :

أولهما : أنه يوجد من المسلمين في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا من يتكلم هذه اللغات ، ولا يفهم سواها ، لذا فلا بد أن يكون لدينا من الدعاة من يقدر على مباشرة الدعوة بها حديثاً وخطابة وكتابة ومناقشة ، وقد ندرك مدى أهمية إتقان هذه اللغات حينما نعلم أن المسلمين الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية مثلاً يفوق عددهم عدد المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية ، ولا بد أن تبلغ الدعوة لهؤلاء باللغة التي يفهمونها .

(١) سنن الترمذي – جـ٩ – صـ٣٩.

(٢) صحيح البخاري – جـ ١٩– صـ٩٧ .

ثانيهما : أننا نجد في هذه اللغات كتبا كثيرة تتحدث عن الإسلام وعن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن القرآن الكريم والسنة الشريفة والحضارة الإسلامية حديثا فيه الكثير من التشويه والأخطاء .

وإذا لم نعرف اللغات التي ألفت بها هذه الكتب فسنقف عاجزين عن رد هذه المفتريات ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر سنترك الطريق مفتوحا أمام الأخطاء التي تحفل بها هذه الكتب لتتسرب إلى عقول وقلوب المسلمين الذين يقرؤون تلك اللغات ، إذا فلا بد لنا أن نولي دراسة هذه اللغات من الجدية والاهتمام ما ينهض بها إلى المستوى الذي تتطلبه في رجل الدعوة وبخاصة الذي ينهض بأعباء الدعوة في بلد تتكلم إحدى تلك اللغات[1].

إذا لكي يتم التواصل بين الداعية وبين من اتجه إلى العمل بينهم وتبصيرهم بأمور دينهم إن كانوا مسلمين ، أو عرض الإسلام على من ليسوا بمسلمين ورد الشبهات التي تثار لابد للداعية أن يكون قادرا على عرض ما عنده من معارف وتوضيحات باللغة التي يفهمها من يتحدث إليهم كالإنجليزية في البلاد التي تتحدث الإنجليزية أو الفرنسية أو الأسبانية أو الألمانية أو سواها حتى يتمكن من إيصال ما يريد وحتى يقدر أن يفهم ما يلقى عليه من أسئلة وما يثار من اعتراضات ليتمكن من الرد عليها ، مع ملاحظة أن المسلمين في العالم الآن يتجاوزون المليار ونصف المليار ولا يتحدث العربية منهم إلا حوالي مائتي مليون ، أما الغالبية العظمى فتتحدث لغات أخرى ، ومعرفة هذه الحقيقة يلقي على المؤسسات التي تهتم بإعداد الدعاة مسئولية كبرى لإعداد دعاة قادرين على الحديث والحوار باللغات التي يتكلم بها هؤلاء الملايين .

سابع عشر : التصور الخاطئ للمجتمع الصالح والإنسان الصالح .

يظن بعض الدعاة والمربين أن المجتمع الصالح، مجتمع بلا جريمة، ولا شرور.. والإنسان الصالح إنسان بلا خطيئة.

وهذا التصور الخاطئ جعل المجتمع المطلوب مجتمعاً مثالياً، مثالية خيالية لا وجود لها في عالم الواقع.. والإنسان المطلوب أو المرتجي إنساناً مثالياً ملائكياً لا وجود له، وهذا التصور الخاطئ أوصل كثيرين من الدعاة والمربين والعلماء والمصلحين إلى اليأس أو الإحباط وذلك

(١) الدعوة والدعاة في العصر الحديث ، د/ محمد إبراهيم الجيوشي ، صـ ٧٢ وما بعدها بتصرف .

عندما شاهدوا البون الشاسع بين ما يطمحون إليه ويظنون أنهم بالغوه ، وبين الواقع الذي يصلون إليه بالفعل في التربية والإصلاح.

وتصحيحاً لهذا المفهوم الخاطئ نقول: إن إصلاح المجتمع الإنساني كله، وهداية الناس جميعاً.. أمر مستحيل ، بل هو أمر مخالف لسنة الله تبارك وتعالى حيث شاء الله أن يكون في الأرض مؤمن وكافر، وأن يكون جنة ونار، وأن تمتلئ هذه وتلك.. وهذا الأمر جار وفق حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى.. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

وقال تعالى مسلياً رسوله صلى الله عليه وسلم ومهوناً عليه: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

ولذلك فإن الكفر لن يمحى من الأرض ما دام الإنسان عليها، بل سنة الله أن يبتلي المؤمنين بالمجرمين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣).

ثامن عشر: حب الدنيا وكراهية الموت.

إنه الداء العضال الذى حذر منه النبى - ﷺ - أمته ولكن وقع ما حذر منه رسول الله وأصبحنا نعيش عصراً طغت فيه الماديات والشهوات بصورة عارمة صرفت كثيراً من "المسلمين" عن الآخرة ، وراحوا يعمرون دنياهم وليتهم مع ذلك عمروا أخراهم بل امتلأت قلوبهم حرصاً وطمعاً وجبناً وتخلوا عن الدعوة إلى الله عز وجل وجبنوا عن الجهاد في سبيل الله ، بل أصبحوا - هم - في أمس الحاجة إلى دعوة بدلاً من أن يكونوا - هم - أصحاب الدعوة ورافعوا لواءها!!.

والحق أنه منذ أن تمكن هذا الداء فى الأمة - إلا من رحم ربك - ذلت الأمة وهانت على جميع الأمم بل وتجرأ عليها الذليل قبل العزيز والضعيف قبل القوى

(١) سورة هود الآية : ١١٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الفرقان الآية : ٣١ .

والقاصى قبل الدانى وقد بين ذلك - أوضح بيان - من لا ينطق عن الهوى في حديث ثوبان ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقالوا: وما الوهن ، قال: حب الدنيا وكراهية الموت"(١).

وهذه العقبة الخطيرة تحتاج من الدعاة جهداً كبيراً وزاداً من الإخلاص والقدوة والصبر الذي لا ينفد ولا ينتهى ، لتذكرة الناس بحقيقة الدنيا وإلا فكيف تدعو أناساً لبذل المال والمهج والأرواح في سبيل الله تعالى وقد أشربت قلوبهم حب الدنيا وخلدوا إلى الأرض والوحل والطين فلابد - ابتداءً - أن نعرفهم حقيقة دنياهم وأنها ليست نهاية المطاف ، كلا بل إنها دار ممر والآخرة هي دار المقر قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٢).

وأن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة ، ومهما عظمت فهي حقيرة ، فالليل مهما طال لابد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

ويبين النبي ﷺ حقارتها في الحديث الصحيح يوم أن مَرَّ بالسوق والناس كنفته (٤)، فمر بجدي أسك (٥) ميت فتناوله فأخذ بإذنه ثم قال: "أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم ؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟! ثم قال: أتحبون أنه لكم ؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم"(٦).

ورحم الله من قال:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريقُ
والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

(١) سنن أبي داود - جـ ٤ صـ ١١١ - طبعة دار الفكر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) سورة غافر : ٣٩

(٣) سورة العنكبوت: ٦٤

(٤) أى حوله

(٥) أسك : أى صغير الأذنين

(٦) صحيح مسلم جـ٤صـ٢٢٧٢

ولتحويل هذه المعاني إلى واقع – من جديد – يحتاج الأمر إلى جهاد طويل وصبرٍ مرير [١].

إن حب الدنيا يُعطي للقلب استعداداً للفتنة، وهو الطريق بعد ذلك إلى حُب الذات المتمثل في حب البروز، والعمل فقط في الصف الأول والبحثُ عن الأضواء.

ولتلافي هذا العائق : لابد من وضوح ما كان عليه سلفنا رضوان الله عليهم، فهذا الإمام الحسن البصري رحمه الله يقول عنه الأمراء: " احتجنا إلى دينه واستغنى عن دنيانا "[٢].

القسم الثاني : المعوقات الخارجية ومن بين تلك المعوقات ما يلي:

أولاً : العقبة المادية .

إن العقبة الأولى التي تواجه الدعاة إلى الله تعالى هي الضائقة المادية ، وهي عقبة صعبة لا يصبر عليها إلا أولو العزم من الرجال ، ولعل الحديث الشريف الذي كان يردده رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل واضح على صعوبة تلك العقبة ، فلقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من الكفر والفقر فيقول : " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر "[٣] .

وفي رواية : " وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة "[٤] .

إن صعوبة الحصول على المال لنفقات الدعوة ، وسد حاجات الدعاة من العقبات الصعبة المرتقى ، من أخطر العوائق التي تواجه الدعاة إلى الله تعالى .

لذا فإن على الدول والحكومات الإسلامية أن تعني بالدعاة إلى الله تعالى وتوفر لهم الأسباب المادية التي تمكنهم من أداء رسالتهم بكل يسر وسهولة .

وليس معنى ذلك أننا نطالب بأن يعيش الدعاة عيشة منعمة مترفة ، لا .. وإنما نطالب بأن تتوفر لهم الأسباب المادية التي

---

(١) خواطر على طريق الدعوة – صـ ٧٦ وما بعدها .

(٢) فيض القدير – عبدالرؤف المناوي – جـ ١ صـ ٤٨١ – المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة الأولى .

(٣) محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري – المستدرك على الصحيحين – ج ١/صـ ٩٠ – ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا .

(٤) الحاكم النيسابوري – المصدر السابق – ج ٤/صـ ٣٥٨ .

يحتاجون إليها حتى يتفرغوا لأداء المهام المنوطة بهم شرعاً .

ثانياً : الإغراءات .

وأما العقبة الثانية التي تواجه الدعاة إلى الله تعالى فتتمثل في الإغراءات التي يتعرض لها الدعاة ، وأشد ما تكون هذه الإغراءات تأثيراً على الدعاة ، إذا برقت في وقت محنة ، يكون الدعاة فيها إلى أمس الحاجة إلى ما يفرج عنهم هذه المحنة ، كأن يعرض على الواحد منهم مال وفير وهو في حاجة إليه ، أو يعرض على أحدهم وظيفة كبيرة وهو يبحث عن عمل ... إلى غير ذلك من الإغراءات .

والدعاة الصادقون لا ينبهرون بهذه المغريات ، ولا ينجذبون لبريقها الأخاذ ، ولا يطأطئون رؤوسهم لمن يلوحون بها ، ولكنهم يواجهون ذلك كله بعظيم الثقة فيما عند الله تعالى ويتحدون بريقها بالرضا بما قسم الله عز وجل .

وهم في ذلك مقتدون بإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم الذي وقف أمام المغريات كالطود الأشم ، لمن يفتن ببريقها رغم شدة الحاجة .

روى ابن هشام في سيرته[١] أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ورأو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضي من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يا أبا الوليد أسمع " .

قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً – أي تابعاً من الجن – تراه لا

---

(١) السيرة النبوية – ابن هشام – جـ ٢ صـ ١٣١ وما بعدها – دار الجيل بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – تحقيق طه عبدالرؤف سعد .

تستطيع رده عن نفسك ،طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه .. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ !

قال : نعم .

قال صلى الله عليه وسلم : " فاستمع مني " ، قال : أفعل .

فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [1].

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك "

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي ، وخلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم.

وهكذا .. قدمت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم عروضاً مغرية ، المال الوفير ، السيادة والملك ، الجاه العريض ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض كل هذه الأمور في إباء واعرض عنها في شمم ، ولم يلتفت إليها ، وأجاب قائلاً :

" ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل على كتاباً وأمرني أن أكون

---

[1] سورة فصلت الآيات ١- ٥ .

لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " .

وهكذا يقطع الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أملهم في إغرائه بما عرضوا عليه ، ويرد عليهم ما أرادوا أن يفتنوه به ، ولقد كان هذا الرد لهذه الإغراءات دليلاً على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به لو كانت لهم عقول يفكرون بها .

ثالثا : الإيذاء .

ما من نبي أو رسول بعثه الله تعالى إلا لقي من قومه من الإيذاء الكثير والكثير ، وقد صرح بذلك ورقة بن نوفل حينما ذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبة السيدة خديجة رضي الله عنها فلم يكد ورقة يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث له بغار حراء حتى بادره بقوله : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ،يا ليتني فيها جذعاً – أي شاباً – ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟! ..

قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وفي رواية إلا أوذي [1].

نعم ... إنها سنة العقائد والدعوات ، لابد من بلاء ، ولابد من أذى في الأموال والأنفس ، ولابد من صبر ومقاومة واعتزام .

إنه الطريق إلى الجنة ، وقد حفت الجنة بالمكاره ، بينما حفت النار بالشهوات .

هذا ... وإن السلاح الذي يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يتسلحوا به في مواجهة هذا التحدي هو الصبر ، والالتجاء إلى الله تعالى ، وكثرة الذكر ، والإلحاح عليه – جل شأنه – في طلب النصر .

ولهذا فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم ، يذكر بالصبر والتقوى عقب ذكر المحن والبلايا ، وهو بذلك يعطي الدعاة السلاح الذي ينتصرون به على أعدائهم ، فلا يفل المحن إلا الصبر ، ولا يجلب النصر إلا الصبر ، ولا يفري قلب العدو إلا الصبر ، ولا يعطي المؤمن الطمأنينة والأمن إلا الصبر .

---

[1] البداية والنهاية– الحافظ ابن كثير – جـ٣ صـ٣ – مكتبة المعارف بيروت .

والالتجاء إلى الله تعالى والاستعانة به دأب الرسل والصالحين ، فنوح عليه السلام ينادي ربه ، ويستعين به على عدوه ويطلب النصر فيقول كما حكى القرآن الكريم : (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ)[1] .

وهود عليه السلام يستنصر ربه فيقول : (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)[2].

ولوط عليه السلام يدعو ربه فيقول:(قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)[3].

وأما ذكر الله سبحانه فبه تطمئن القلوب ، وبه تسكن الجوارح ، وبه ترضى النفس بقضاء الله وقدره ، وتعلم أن ما أصابها لم يكن ليخطئها ، وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها .

وهكذا .. تكون نفوس الدعاة إلى الله تعالى موصولة به سبحانه ، تأنس لجواره ، وتأمن في رحابه ، وتطمئن لعدله ، وتتذوق لذة القرب منه ، وتنعم بما كلفها الله به من واجب الدعوة إليه سبحانه رغم ما يصيبها من الأذى ، لأنها تعلم أن ذلك سنة الدعوات ، وما يصبر على ما فيها من مشقة ويحافظ في ثنايا الصراع المرير على تقوى الله إلا أولو العزم الأقوياء .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[4].

رابعا : القصور في أعداد وإعداد الدعاة .

إن المتأمل في أحوال الدعوة يجد قصورا واضحا في أعداد الدعاة على وجه العموم ، فالمساجد ـ مثلا ـ لا تجد من الأئمة والخطباء من يقومون بهذه الوظائف بأعداد تكفي لتغطية حاجتها جميعا، والواقع حتى في أحسن المجتمعات الإسلامية ظروفا من هذه الناحية ينطق بهذا النقص..ومثل ذلك يقال عن عدد الوعاظ فالمؤهلون منهم قلة محدودة جدا، وبجانبهم أعداد هائلة ممن يمارسون الوعظ هواية أو من خلال جمعيات تُعد لهم مستويات من الدراسة تتيح لهم حداً أدنى من المعرفة الدينية الضرورية التي قد تكفي لمواجهة حاجات البيئات المحدودة

(١) سورة القمر ١٠ .

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٢٦

(٣) سورة العنكبوت الآية رقم ٣٠ .

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٨٦ .

الفكرة والثقافة، ولكنها لا تفي بحاجة الإنسان الذي نال قسطا كبيرا من ثقافة العصر، وتعرض لمؤثراته الفكرية والحضارية..

إن ساحة الدعوة الإسلامية داخل البلاد الإسلامية نفسها تكاد تكون خالية ـ إلا نسبة محدودة منها ـ من دعاة حقيقيين، قادرين على حمل أمانتها والوفاء بتبعاتها...

فإذا ألقينا ببصرنا على ساحة الدعوة خارج بلاد المسلمين، وحيث يوجد ملايين البشر الذين مازالوا على فطرتهم، أو شابتهم وثنية انتقلت إليهم بالعدوى، وحيث يوجد ملايين من أصحاب الديانات الأخرى يعانون القلق، ويبحثون عن معتقد تطمئن إليه نفوسهم التي يرهقها الآن أن تتقبل عقائد ومذاهب يصعب على عقل أضاءه العلم وصقلته الحضارة أن يتقبلها.

هؤلاء حيارى يتلمسون الضوء في ظلمات بعضها فوق بعض، ولو أن دعوة الإسلام بلغتهم في خطاب يفهمونه وأسلوب حكيم يفتح لها الطريق الصحيح إلى عقولهم وضمائرهم لكان لهم من الإسلام موقف آخر، ولغدوا جنودا مخلصين، يستطيعون ويملكون من وسائل نشر الإسلام بين أقوامهم ما لا نملكه نحن في بلاد المسلمين.

إن الإسلام ليس ملكا لنا، وإنما هو أمانة وضعها الله في أعناقنا، ومن الوفاء بالأمانة أن تؤدى إلى من هو أقدر على القيام بها والحفاظ عليها، وهو مغزى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حجة الوداع ـ " ليبلغ الشاهد الغائب "[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها فانه رب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله والنصيحة لولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم "[2].

لقد انتشر الإسلام في إفريقيا وآسيا على أيدي التجار المسلمين بأكثر مما انتشر على أيدي الدعاة الرسميين، ذلك أن - الاحتساب - غير - الاحتراف - وليس من قبيل المصادفة أن يكون هذا القول الكريم : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري جـ١ صـ٣٧ .

(٢) الطبراني ، المعجم الأوسط جـ٥ صـ ٢٣٤، دار الحرمين ، القاهرة ١٤١٥هـ .

أجْراً)[1]. شعارا سلوكياً عملياً ومشتركا بين رسل الله أجمعين.

نحن بحاجة إلى تأمل المغزى العميق وراء هذا الشعار لنصل إلى معادلة صحيحة نحل بها مشكلة الدعوة العويصة في عالمنا ، وهي كيف نوفق بين كون الدعوة غاية يجب التجرد لها والتضحية في سبيلها، وبين كونها مصدرا ضروريا لرزق من تناط بهم وظائفها في عالم أصبح توزيع العمل والتخصص في المعرفة سمة من سماته؟..

كم من – الدعاة – يبشرون اليوم بالإسلام على سطح هذا الكوكب الذي نعيش فيه؟

لو تصورنا أن كل مليون من البشر يكفيهم داعية واحد ــ وهو فرض أقرب إلى الخيال ــ لكان العدد المطلوب من – الدعاة – بضعة آلاف داعية فهل نستطيع أن نحصي على مستوى العالم غير الإسلامي كله أكثر من بضع عشرات؟

تلك حقيقة يجب أن نذكرها وأن نذكر بها..

هذه مشكلة الدعوة وجهازها من حيث عدد الدعاة وهم العنصر الأساسي فيها.

فإذا انتقلنا إلى مشكلة الدعوة من حيث نوعية الدعاة صدمنا الواقع صدمة قاسية إذ أن مستوى الداعية في أحسن حالاته اليوم لا يفي على الإطلاق بحاجة من يدعوهم.

إن إنسان العصر يريد أن يجد في الدين حلولا لكل مشكلات الحياة التي تعترضه سواء في سلوكه الشخصي، أو في علاقاته الأسرية، أو في معاملاته الاقتصادية، ويريد أن يجد في الدين كلمة تضيء له طريقه في قضايا الحكم، ومسائل السياسة، ومشكلات الاقتصاد.

والشباب ــ بخاصة ــ في حاجة إلى أن يقدم لهم من خلال الدين نظرة متكاملة للحياة، تستطيع إشباع حاجتهم للمعرفة، وتتيح لهم ما يبحثون عنه من سكينة نفس. واطمئنان الضمير.

هذه المطالب المعقدة المتشابكة، يقدم الدين حلولا جذرية عميقة لها، ولكن السؤال هو ما مدى إدراك الداعية لهذه المشكلات؟ ثم ما مدى قدرته على استنباط حلولها والإجابات الصحيحة عنها من المصدر الأصيل للدين ممثلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعتمد عليهما أساسا ويستعين بعد ذلك بما يراه ملائما من الأدوات؟..

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .

هل يملك داعية العصر القدرة على الاقتراب المباشر من هذا المصدر، وأخذ الأحكام والحلول لقضايا الحياة المعاصرة ومشكلاتها من خلال نصوصه مباشرة؟

هنا يبرز لنا قصور الإعداد ونقصه حتى على مستوى حملة الشهادات العلمية التي تجيزهم بأهلية العمل في مجال الدعوة، وتقرر صلاحيتهم لها...

هذا القصور إذا أردنا تحديد أسبابه وجب أن نتجه على الفور إلى الجهات التي تتولى إعداد هؤلاء الدعاة، ونتفحص مناهج إعدادهم ووسائل تكوينهم ...

وأول ما يلاحظ على هذه المناهج والأساليب ما يلي :

(١) قصور الأدوات التي لا بد من توافرها للتمكن في الدراسات الدينية ، وفي مقدمة هذه الأدوات اللغة العربية وفقه لغة القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن مجتهدي الفقهاء لم يتمكنوا من الاجتهاد الفقهي إلا بعد امتلاك ناصية اللغة امتلاكاً تاماً، وعلم أصول الفقه ــ في جملته وتفصيله ــ هو علم لغوي في أساسه ..

وهل استطاع أو يستطيع مفسر جاد أن يجلس إلى كتاب الله وأداته اللغوية لم تكتمل، وذوقه اللغوي لم يصل إلى القمة؟..

إن فهم مراد الله من كتابه مرهون بالقدرة على النفاذ إليه من خلال أسلوب عربي شاء الله له أن يكون معجزة بلاغية في صياغته ..

وقصارى أمر من يحاول التفسير دون استكمال عدته اللغوية أساساً، أن يكون راوياً لأقوال الآخرين، أو جامعاً منظماً لها، أما أن يكون مفسراً بنفسه، فهذا ما لا سبيل له إليه .. وقل مثل ذلك بالنسبة لمن يفسر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إن كل خلاف في آراء المفسرين مرده إلى أساس لغوي بالدرجة الأولى، وكل ترجيح بين رأيين فمستنده أساس لغوي كذلك، فكيف يسوغ الترخص في هذا التكوين اللغوي للدعاة وهو أداة الأدوات في يد كل باحث، ومفكر، ودارس، ومعلم يبلغ عن الله ما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن إعداد الدعاة ــ مهما تضخمت المناهج وتشعبت ــ يظل عاجزاً عن ربطهم ربطاً وثيقاً بمصدر الدين الأساسي طالما بقيت هذه الثغرة .. أعني هبوط المستوى اللغوي في هذا الإعداد.

(٢) إذا كانت ثقافة العصر تفرض نفسها على عقول الناس وتخلق فيها من المشكلات ما لم يكن في عقول السابقين

فالضرورة قاضية بأن يلم الداعية بتيارات هذه الثقافة، ووزنها، وتمييز ما هو حق فيها وما هو باطل، ثم يسلح بأسلحة ملائمة للهجوم وللدفاع في معارك الفكر التي لا بد له أن يخوضها إذا كان يريد أو يراد له ــ حقاً ــ أن يؤدي رسالته على وجهها.

أصالة الثقافة بربطها بالمصدر الأول للإسلام، ومعاصرتها بالتفتح على ثقافات العصر وميادين المعرفة المعاصرة ، كلاهما ضروري لداعية العصر، وإلا كان سطحياً غير عميق الجذور إذا فقد شرط الأصالة، أو منغلقاً ضيق الأفق إذا فقد شرط المعاصرة.

لقد حفل تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها بنماذج فريدة من الدعاة المدافعين عن الإسلام، تمكنوا من تراثهم، وتسلحوا بأسلحة عصرهم. فلم يتهيبوا ميدان النزال، بل اقتحموا وصالوا وجالوا، وغلبوا ورفعوا راية الحق عالية وقذفوا الباطل بقذائف لم تكن لتخطئ مقاتله ..

إن هذا التاريخ ليذكر بالفخر والاعتزاز أمثال أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل رضوان الله عليهم. ويذكر أمثال الحسن البصري وابن سيرين وأبي الحسن الأشعري. ويذكر الباقلاني، والغزالي، وابن رشد، ومن إليهم ممن كانوا حصونا ومعاقل تقف لترد عن الإسلام هجمات الطاعنين والمفترين. ويذكر ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي ، وابن كثير ..

ويذكر في عصرنا الحديث الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي، ومحمد بن عبد الوهاب ممن كانوا شهبا راصدة تنقض على كل من يحاول النيل من الإسلام بالطعن والتشكيك.

إن العودة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واستمداد مناهج إعداد الدعاة منهما مباشرة، وتمكين الأساس اللغوي للدعاة، هو نقطة بدء لا بد من التفكير فيها تفكيراً عميقاً، ومخلصاً، ووثوقاً من أن ذلك هو الطريق لنهضة الدعوة والدعاة والذي لا طريق سواه، ثم يكون بعد ذلك الانفتاح على ثقافات العصر.

(٣) إن فلسفة إعداد الدعاة تبدو لنا ناقصة نقصاً خطيراً، ذلك أنها تعنى بالجانب التعليمي التلقيني، أو بالجانب النظري من الإعداد ، بينما نجدها لاتعنى بالجانب التربوي الذي هو الوجه المكمل للوجه النظري.

إن العلم وحده لا يكفي لتكوين داعية، والمعرفة وحدها لا تصنع داعية كذلك .

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"[1].

إن العلم إذا لم يستند إلى خلق يحميه من نزوات النفس وطغيان الشهوات ويصونه عن الدنايا وسفاسف الأمور، يصبح كارثة حين يوجه لغايات آثمة، أو يستغل في مآرب خبيثة.

إن تنمية الإحساس بأن الداعية صاحب رسالة هي امتداد لوظيفة النبوة، ومسؤليتها لذلك مسؤلية ضخمة، والتبعة فيها على قدر سموها وجلالها.

تنمية الإحساس بهذه المعاني شرط أولي يجب أن تحرص على التمكين له فلسفة إعداد الدعاة ولا تغفل عنه في خطوة من خطوات هذا الإعداد.

يجب أن يختار الدعاة اختياراً مدققاً، بحيث تتوافر فيهم مقومات إذا تخلفت كانت البداية خاطئة وغير موصلة إلى الغاية المرجوة.

إن المستوى العقلي الجيد، والذكاء بدرجة واضحة ضروري هنا، ومن المقرر: أن الفطانة من صفات الأنبياء عليهم السلام. فلنتعلم جيداً من قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2].

والمستوى الخلقي الممتاز ضرورة فوق كل الضرورات، فالدعوة أمانة لا رقيب على صاحبها سوى ربه وضميره، ومن المقرر كذلك : أن الأمانة من صفات الأنبياء صلوات الله عليهم.

والالتزام الديني بالإسلام فكراً وسلوكاً في كل صغيرة وكبيرة مما يجب تمكينه تمكيناً متأصلا في أنفس الدعاة ومن الخطورة أن نقدم للناس دعاة يقولون ما لا يفعلون أو يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، أو ينهون عن المنكر ولا ينتهون هم عن فعله.

إن الداعية قدوة ، وشرط القدوة تطابق القول والعمل بعد استقامتهما على نهج صحيح.

إن تربية الداعية دينياً، وتدريبه على تطبيق الإسلام في حياته عملياً، وتزكية نفسه بما يجعلها متأبية على الدنايا، وأخذه أخذاً بما يحصنه ضد فتنة المال وإغراءات الحياة ثم الترقي به ليعيش في مستوى التجرد لرسالته مطمئنا ومستعداً للتضحية في سبيلها بكل ما يستطيع ، هذه التربية ضرورية، ولازمة، وبدونها لا يكون هناك معنى للحديث عن دعوة ودعاة : قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

---

(1) الأحاديث المختارة جـ١ صـ ٣٤٤ .

(2) سورة الأنعام. آية رقم : ١٢٤ .

الْعَالَمِينَ﴾[1].. هذا ما ينبغي أن يكون شعار الدعاة[2].

هذا الجانب التربوي من الإعداد يكاد يكون غائباً الآن في بيئات إعداد الدعاة.

إن التربية العملية للدعاة على قيم الإسلام ومثله وعلى شرائعه وشعائره، وعلى مفاهيمه وعقائده، لا يغني فيها التلقين ولا المعرفة النظرية، بل لا بد لاستكمال هذا الجانب الخطير من تغير جذري يمس فلسفة الإعداد، ويعدل من المناهج والأساليب، ولن يتم ذلك إلا بأن يتم الإعداد والدراسة والتربية من خلال حياة متكاملة، يتخلق كل العاملين في إطارها بخلق القرآن، ويلتزمون التزاماً كاملا بتطبيق الإسلام شعائر وآداباً وقيما وضوابط للسلوك بحيث يترجم ما يدرسه الطالب نظرياً إلى حياة وممارسة.

ولكن هل تصلح معاهد إعداد الدعاة الحالية لهذا اللون من التربية؟

وفي الإجابة على هذا السؤال، يقول الدكتور الذهبي – رحمه الله –[3]: بالقطع هي لا تفي بهذا، ولم تصمم مبانيها ومناهجها ولا فلسفاتها على هذا الأساس. وهنا نقترح: إنشاء كلية للدعوة الإسلامية بتمويل إسلامي عام، ويختار لها الدارسون اختيار دقيقا من كل أنحاء العالم الإسلامي، من خلال نظام محكم للقبول لا يمر منه إلا من تتوافر فيه مقومات خاصة، تؤهله لأن يكون داعية بمفهوم الداعية الصحيح.

هذه الكلية يجب أن تختلف كلية عن المألوف في النظم الجامعية أو المدرسية العادية. فالدراسة والتربية فيها متكاملتان، وتبدآن من سن مبكرة – ١٢ سنة مثلا –.

والمراحل فيها مترابطة تسلم كل منها إلى ما يليها. والحياة فيها تصمم بحيث تتيح لأصحابها معايشة الإسلام معايشة حية تحوله إلى نسيج نفسي وعقلي داخل الدارسين، وإلى ظواهر صادقة في سلوكهم.

ونظم التقويم فيها يجب أن تشمل الجانبين العلمي والتربوي أو المعرفي والسلوكي.

وهيئة التدريس وجهاز التربية فيها يجب أن يكون كله من رجال لهم – إلى جانب علمهم وخبرتهم – اهتمام بالدعوة إلى الله، بدرجة تجعل منهم مجاهدين محتسبين، وليس مجرد موظفين يتقاضون

---

(1) سورة الأنعام. آية رقم: ١٦٢.

(2) مجلة منار الإسلام العدد السابع – السنة التاسعة – رجب ١٤٠٤ هـ ص ٢٩ بتصرف.

(3) المصدر السابق، ص ٣٠، ٣١ بتصرف.

أجورا يتنافسون عليها.. أما المناهج: فيجب أن يتوافر فيها ما يغطي جوانب النقص التي فصلناها هنا وفي مقدمتها:

أ – ثغرة الضعف في التكوين اللغوي.

ب – ثغرة الانفصام عن المصدر الأصلي للإسلام ممثلا في الكتاب والسنة.

ج – ثغرة الانغلاق وعدم الاقتحام لثقافات العصر وتحديد مواقف منها.

وليس ثمة ما يمنع أن يكون في خطة الدراسة مجال واسع لتدريب عملي على البحث العلمي من ناحية، وعلى ممارسة فنون الدعوة العملية من خطابة ومحاضرة، ودرس، وحوار، ومناظرة، مع التدريب العملي على استخدام كافة أجهزة الإعلام (صحافة – إذاعة – تلفاز).

إن تركيز جهود الإعداد في – كلية إسلامية – كبرى يمكن تطويرها لتصبح جامعة للدعوة خير بكثير من تفتيت الجهود في وحدات صغيرة الإمكانات، عاجزة عن تطبيق مثل هذه الفلسفة.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى ضرورة العناية بتدريس اللغات الأساسية المنتشرة في بلاد العالم الإسلامي غير الناطقة بالعربية، والعناية أيضاً بلغات العالم المعاصر الحية والواسعة الانتشار.

(٤) بقي جانب مهم لاينال في واقعنا ما يستحق من عناية في مناهج إعداد الدعاة ونعني به الجانب الفني العملي للدعوة في مجال الممارسة والتطبيق.

إن الدعوة حين يمارسها الداعية خطابة، ووعظا، وفتيا، ودرسا، ومحاضرة، وحديثا إذاعيا، وحوارا، ومناظرة ...هي في كل ذلك ذات وجه فني يتمثل في أساليبها وطرقها.

وإذا كان الفن في ذاته استعداداً بالدرجة الأولى، فإن ذلك لا يغني عن دراسة الأصول العامة التي تكشف عن حقائقه، وتصقل مواهبه، وتعين على الإبداع والتطوير الناجح خلال الممارسة.

وإذا كانت مناهج الدراسة تزود الداعية بالمضمون الفكري الذي يستمد منه، وإذا كانت التربية المتكاملة التي اقترحناها تكوّن شخصيته تكويناً متوازناً يؤهله لرسالته، فإن استكمال هذا الجانب الفني المتصل بالأساليب والأدوات لا بد منه.

الخطابة – مثلا – فنّ، أساسه استعداد فطري لا شك، لكن فهم الخطيب لطبيعة موقف الخطابة، وتكيفه مع ظروف الحاضرين، وأنها لون من السياسة النفسية للجماهير، وتصلح لتناول موضوعات دون غيرها، وتحتاج لاصطناع أسلوب غير ما يحتاج إليه في محاضرة مثلا، إلى ما

يكون للآداء الصوتي من تأثير، بتلوين نبرات الصوت ودرجته، والوقفات والسكتات التي تتخللها، والسرعة والبطء، وطول الجمل وقصرها، وكونها مرسلة أو مسجوعة أو متوازنة .. وكيف يكون تفجير طاقات الناس واستفسارهم، أو استهواؤهم. وتهيئة قابليتهم لما يلقى إليهم، كل أولئك مما يفيد – الداعية – معرفته، ويزيد من بصيرته بفنه الذي يمارسه.

إن القرآن الكريم، حافل بالمناهج، والأساليب، والطرائق التي يتمكن الاستنباط منها والاستهداء بها في كل موقف نوعي يقفه الداعية أو يتعرض له: خطابة، وحواراً، وقصصاً، وموعظة، وتقريراً في تنوع يقدم لكل مقام ما يلائمه، ولكل موضوع ما يناسبه.

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه العملية ذخيرة ثمينة وثروة لو تناولها باحث بالدرس والاستقراء، واستنبط منها الأصول النفسية والاجتماعية والدينية التي تفسر نفاذ النبي صلى الله عليه وسلم إلى قلوب الناس وعقولهم. في سنة النبي هذه ما لو تناوله باحث حصيف لقدم لنا ما يمكن أن نسميه: علم نفس الدعوة، على غرار ما يعرف من علم النفس التعليمي أو التربوي. ويعمق أكثر فيما يتصل بطبيعة النفس، إذا كان منهج النبوة في دعوة الناس منهجاً ربانياً ألهمه إياه ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ..

وفي وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لمبعوثيه الذين أرسلهم معلمين هنا وهناك من أمثال معاذ بن جبل، وفي إجاباته عن أسئلة محددة من أشخاص ذوي سمات خاصة مجال واسع لتأمل رشيد، يعود على صاحبه بما يفتح بصيرته على رؤى ومدارك لم يكن يراها من قبل.

إن العصر الذي نعيشه ابتكر من وسائل الاتصال والتوصيل ما لم تعرفه الدنيا ولا سمعت به قبل قرن واحد. وكلها مما يتوسل به لتوصيل الكلمة نافذة مؤثرة بأقصى ما تحتمل من هذا التأثير.

والدعوة الإسلامية ــ وأداتها الكلمة ــ لا بد لها من تفكير جاد في دراسة وسائلها التقليدية لتطورها من جهة، ولتكملها بما استحدثه العصر من وسائل تلائمها وتجعله أكثر قدرة على النفاذ إلى القلوب والعقول.

إن نقاء أجهزة الدعوة الإسلامية في عالمنا مقيدة بهذه الحدود والوسائل الضيقة التي دفعت إلى مضايقها دفعاً خلال فترات مختلفة من تاريخ المسلمين، يجعلها متخلفة عن الوفاء بحاجة العصر.

والمسلمون طوروا كل أساليب حياتهم تقريباً. واستحدثوا كل جديد رأوه نافعاً في مجالات الحياة، ومن واجبهم أن يعطوا – الدعوة – إلى الله جانباً من هذه العناية.

خامساً : التضييق على الدعاة.

وهذا أيضاً من المعوقات في طريق الدعاة ، وقد أخذ أشكالاً متعددة ، فأحياناً يكون بالمنع وأخرى يكون بالحبس والتعزير و وقد يصل الأمر إلى القتل حينما تتحكم في بلاد المسلمين نظم علمانية ، وتتمثل المضايقات في منع الدعاة المخلصين من الكتابة في الصحف ، والخطابة على المنابر ، ومن التحدث عبر وسائل الإعلام ، ولا بد لنا ونحن نواجه هذه المشكلات أن ندعوا إلى حرية التفكير والتعبير حتى نتمكن من إعلان حكم الله للناس جميعاً عبر هذه الوسائل التي أصبحت ذات أثر بالغ في المجتمعات ، وذلك أن الكلمة لها كبير الأثر في التوجيه ، ولا شك أن الدعاة وهم يحاولون الوصول إلى حقهم في التعبير عبر الوسائل المختلفة سيواجهون باعتراض ومصادرات وتضييق وتهديد ، وواجبهم أن يتحلوا بالصبر حتى يصلوا إلى غايتهم ، فإن الحكمة والصبر مع العلم الصحيح يمثل الخطوة الأولى والأخيرة في تحقيق ما

يهدف إليه الدعاة من الإصلاح المنشود ، وما أصدق قول الشاعر الحكيم:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته *** ومدمن القرع للأبواب أن يلجا [1].

سادساً : كثرة أهل الباطل وظهورهم وقلة أهل الحق وابتلاؤهم.

وهذه – ولا شك – من أخطر العقبات وأشد الفتن التى تواجه أهل الحق فهم يرون إقبال الدنيا على المبطلين ويرونهم ناجحين مرموقين ، تهتف لهم الدنيا ، وتصفق لهم الجماهير ، وتصاغ لهم الأمجاد ، وتذلل لهم الصعاب ، وتيسر لهم الأسباب ، وتفتح لهم الأبواب فى الوقت الذي يتعرض فيه أهل الحق للأذى والفتن والابتلاء حقاً إنها فتنة كبيرة قد تعصف بالقلوب القلقة !

ولا يثبت لها إلا أصحاب القلوب الحية السليمة العامرة بالإيمان واليقين فالدعوة إلى الله جل وعلا أمانة عظيمة لابد لأهلها من إعداد خاص وهذا الإعداد لا يتم أبداً إلا بالصبر الجميل على جميع الفتن والابتلاءات ، ولا يتم إلا بالاستعلاء على جميع الآلام ، والثقة المطلقة في نصر الله

---

[1] الدعوة والدعاة في العصر الحديث ، د/ محمد إبراهيم الجيوشي ، صـ ١٠١ وما بعدها بتصرف .

جل وعلا لأهل الحق وإن كانوا قلة فليست الكثرة دليلاً على الحق أبداً لاسيما بعد إنقضاء القرون الثلاثة الأولى الفاضلة بل ما ذكر الله الكثرة إلا وذمها وما ذكر القلة إلا ومدحها :

قال سبحانه : ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[7].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[8].

قال تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[9].

وذكر الله جل وعلا القلة ومدحها وأثنى عليها فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[10].

وقال جل شأنه : ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[11].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾[12].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾[13].

وقال سبحانه : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾[14].

بل وفى الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى قال: " عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد "[1].

فلا ينبغى أن نغتر بالكثرة الهالكة وأن نحتقر القلة السالكة لطريق الحق والهدى، ورحم الله الحسن البصري إذ يقول: " السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعتهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا . "[2].

وهى الفئة الغالبة المنصورة بإذن الله ، قال تعالى: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[3]

وفى الحديث الصحيح عن معاوية ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: " لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"[4]

---

(1) سورة الأنعام :١١٦

(2) سورة يوسف :١٣

(3) سورة الإسراء :٨٩

(4) سورة غافر :٦١

(5) سورة الزخرف :٧٨

(6) سورة يوسف :١٦

(7) سورة النحل :٨٣

(8) سورة الشعراء :٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ .

(9) سورة الشعراء: ٢٢٣

(10) سورة سبا : ١٣

(11) سورة ص : ٢٤

(12) سورة هود : ٤

(13) سورة البقرة : ٢٤٦

(14) سورة النساء : ٨٣

(1) صحيح البخاري جـ٥ صـ٢١٧٠.

(2) شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – جـ ١صـ٣٠٨ المكتب الإسلامي بيروت – الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ .

(3) سورة البقرة: ٢٤٩

(4) صحيح البخاري جـ٣ صـ١٣٣١

تتلخص سبل مواجهة هذه المعوقات فيما يلي :

أولاً : أن نعد داعية قادراً على القيام بأمر الدعوة ، وذلك بأن يكون علمه بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة علماً يمكنه من المعرفة الواعية بالإسلام وقيمه ومبادئه وحضارته وتاريخه وتميزه على ما سواه من نظم وقوانين .

ثانيا : أن يكون الداعية ملماً بالتيارات والمذاهب القديمة والمعاصرة حتى يتمكن من الوقوف على ما بها من نقص ، ويستطيع عند المقارنة أن يبين خطأها أو ضعفها ويكشف عن سمو قيم الإسلام وقدرتها على تحقيق الأمن والرخاء لبني البشر .

وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[5].

ثالثا: أن تكون هناك خطة واضحة المعالم ، لأن أي عمل بدون تخطيط يكون جهداً ضائعاً ، وهذا التخطيط يقتضي أن يكون هناك منهج محدد للدعوة يتناسب

(*) سورة فصلت . آية رقم ٣٣ .

مع قدرات من يدعوهم حتى يجد قوله آذانا صاغية ، وهذا يقتضيه أن يعرف المستويات الفكرية والأوضاع الاجتماعية للذين يتوجه إليهم بالدعوة فيخاطبهم بما يفهمون أخذاً من توجيه النبي ﷺ حين قال : (.. خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[1].

والمناهج إما مناهج عقلية وهي تناسب أصحاب الثقافات والمتخصصين في كل لون من ألوان المعرفة ، وهي تعتمد على البرهان العقلي .

وإما مناهج عاطفية وهي تناسب بعض فئات المجتمع الفكرية والاجتماعية .

وإما مناهج حسية تجريبية ، وهي تناسب فئات أخرى من المجتمع.

وتنتظم الخطة أيضاً اختيار الأساليب المناسبة لحال المدعوين ، وهم إما أن يكونوا مسلمين أو غير مسلمين ، أسلوب دعوة المسلمين يختلف عن أسلوب دعوة غير المسلمين ، بل إن دعوة المسلمين تختلف باختلاف التزامهم ، فهناك السابق بالخيرات ، وهناك المقتصد ، وهناك الظالم لنفسه ، وكل جماعة من هؤلاء يناسبها أسلوب خاص أخذاً من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[2].

وإذا ما اختار الداعية الأسلوب المناسب لمن يدعوهم كان ذلك سبباً في نجاح دعوته[3].

---

(1) المدخل – ابن الحاج – جـ ٣ صـ ١٥٣ – ط دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(2) سورة فاطر . آية رقم ٣٢ .

(3) الدعوة والدعاة في العصر الحديث ، للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي ، صـ ١٠٦ ، ١٠٧ .

الفصل الثالث

معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب

وإتماماً للفائدة يحسن بنا في ختام حديثنا عن معوقات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر وسبل مواجهتها أن نقف على معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب . فنقول وبالله تعالى التوفيق

تنقسم معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب إلى قسمين :

القسم الأول: قسم يعود إلى المسلمين أنفسهم ، ويمكننا تلخيصه فيما يلي :

أولاً : القدوة السيئة التي يراها الأوربيون في تصرفات بعض المسلمين في البلدان الأوربية نفسها.

لاشك أن السلوك الإسلامي مهم جدا في الدعوة إلى الله تعالى سواء في الداخل أم في الخارج؛ لأنه مرآة الإسلام وهو الجانب التطبيقي والمتمثل في سلوكيات الأفراد، فالدعوة الإسلامية في تقدم كلما تطابقت السلوكيات والأخلاق مع مبادئ الإسلام، فأساس وجود الرسالة الربانية إنما هو إتمام مكارم الأخلاق كما قال عليه الصلاة والسلام "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1].

---

(1) سنن النسائي الكبرى – جـ ١٠ صـ ١٩١.

هذا .. وإن كثيراً من الجاليات الإسلامية في الغرب يغلب عليها الجهل بالإسلام ولا يلتزم كثير من أفرادها وأسرها بآدابه، بل بعضهم لا يقر بمبادئه ولا يؤدي شيئا منها، إضافة إلى صفات سيئة يتصفون بها ينفر منها الغربيون ، مثل خلف الوعد والكذب والغش.

لذا فإن المطلوب من المسلم في الغرب على وجه العموم و الداعية على وجه الخصوص أن تبدو عليهم آثار الرسالة التي يدعو الناس إليها.

استمع إلى قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

إن مرد هذا العائق يرجع إلى الخلل القائم على مستوى النية، وعلى مستوى العلم بالمبادئ والجوانب المختلفة للدين الإسلامي، علما حقيقيا يؤدي إلى التطبيق.

ثانيا : كثرة التنازع بين المسلمين في الغرب امتدادا لخلافاتهم الموجودة في

---

(2) سورة البقرة الآية رقم ٤٤ .

(3) سورة الصف الآية رقم ٢،٣ .

بلدانهم الأصلية ، حيث يرى الغربيون الصراع يحتدم أحياناً بين المسلمين في مساجدهم ومدارسهم ومراكزهم، إلى درجة تقتضي تدخل أجهزة الأمن الغربية بينهم، لفصل النزاع الذي إذا بحثت في أسبابه وجدتها في الغالب التنافس في الزعامات والأمور المادية، وليست من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين، وإن زعم كل فريق حرصه على تلك المصلحة، هذا مع أن هؤلاء المسلمين يقيمون بين الغربيين الذين تتنافس أحزابهم على الزعامات بالطرق السلمية المسماة بالديمقراطية ،-الانتخابات التشريعية والانتخابات الرئاسية -.

زد على هذا الاختلافات المنقولة من الأصلية التي قدم منها المسلمون مثل الاختلافات بين السنة والشيعة مما ينتج عن هذا كله صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين .

وزاد الأمر حدة انشغال وسائل الإعلام الغربية بهذه الاختلافات، ومحاولة تضخيمها وعرض الإسلام بصورة غير لائقة، وبهذا يُرفض الدين الإسلامي في الغرب بحجة أنه لا يسع حتى أبناءه فكيف بأبناء الغرب، ولنفرض أن الفرد الغربي قرر دخول الإسلام فإلى أي حزب يدخل؟ ومن على الحق ومن على الباطل؟

ثالثاً : ضعف الإمكانيات المادية المسخرة للدعوة الإسلامية في الغرب .

ومن العقبات التي تواجه الدعوة في الخارج عدم توفر الإمكانات المادية التي تساعد على قيام المؤسسات الدعوية في الغرب بواجباتها .

ومرجع هذا النقص إلى عدم وجود خطة بعيدة المدى تلبي احتياجات الدعوة والدعاة من النشرات والكتب التي يحتاج إليها العمل في ذلك الميدان ، ونتيجة لانعدام خطة ثابتة ينطلق منها العمل الإسلامي نجد الأماكن التي تتعرض لظروف غير عادية نتيجة لأحداث طبيعية كونية كالزلازل والبراكين والفيضانات ، أو تتعرض لظروف عادية نتيجة لأحداث من صنع الإنسان كالحروب التي تنشأ بين بعض الدول ويتعرض الكثيرون لأهوالها وويلاتها فيفرون إلى أماكن يلجأون إليها يحتاجون فيها لأي رعاية صحية أو مساعدات في الطعام والإقامة والكساء ، في هذه الظروف نجد الذين يقدمون هذه المساعدات هم رجال المؤسسات الكنسية ونادرا ما تجد مؤسسة إسلامية يكون لها وجود ، وسبب ذلك أن الآخرين ينطلقون حسب خطة مرسومة موضوعة تعطي الانطباع بأنهم هم الذين يحملون هموم البشرية ويسعون للتخفيف عن مصائبهم ، مع أنهم ليسوا أكثر منا مالا ولا عددا ولكنهم أحسن تنظيما وإعداداً.

إن الجهود تبقى قليلة إذ لم تدعم الجهود البشرية بالجهود والتمويل المادي ، فالدعاة بحاجة إلى المال الذي يعينهم على القيام بالدعوة لتنقلاتهم أو طبع الكتب ونشرها ، أو طبع نشرات وتوزيعها، أو استئجار مكان مناسب لإقامة ندوات أو محاضرات عامة، يدعى إليها الأوربيون وغيرهم مسلمون أو غير مسلمين....

وبالمقارنة بين الميزانيات الممنوحة للدعوة الإسلامية، والتبشير المسيحي نجد فرقاً كبير، فالإحصائيات تقول[1] :

إن هناك ارتفاعًا شديدًا ومكثفًا في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية تمتلك ١٠٠مليون جهاز كمبيوتر تتبع ٢٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم، وتصدر ١٠٠ألف كتاب و٢٥ ألف مطبوعة صحفية بأكثر من ١٥٠ لغة وكلها تخدم التنصير، وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة

(١) موقع نور الإسلام على شبكة الأنترنت .

بالإضافة إلى ما سبق ذكره كلها متخصصة في التنصير، وكذلك حوالي ١٠٠ ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي.

كما حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره ٨,٩ بليون دولار، ويعمل في خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر، وصدر ٨٨٦١ كتابًا و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية، ووصل عدد الأناجيل الموزعة مجاناً إلى ٥٣مليون نسخة . كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية ٣٢٤٠، وقد بلغ ما أنفق لدعم ميزانية التنصير خلال عام ١٩٩١م حوالي ١٨١ مليار دولار، والذي زاد بمقدار ٣٠ مليار خلال عامين، حيث كان عام ١٩٨٩م حوالي ١٥١ مليار دولار. وهذا يبين مدى التزايد الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير على مستوى العالم .

إن الدول الصليبية تمنح ١٢٠ مليون دولار لقيام الدعاة المبشرين بواجبهم على أحسن وجه ، بخلاف الدول العربية الإسلامية التي تمنح ٥ ملايين دولار للدعوة في الغرب.

إن قلة الميزانيات والإمكانيات يمكن إرجاعه إلى قلة الاهتمام بمشروع الدعوة الإسلامية، وهذا أظنه راجع إلى عدم

فهم يحرفون معانيه، ويشككون فيه ويتصيدون بعض المعلومات الدخيلة، في كتب التاريخ أو كتب التفسير المليئة بالإسرائيليات، ليلصقوها بالإسلام، ويتبعون المتشابه ويتركون المحكم، ليلبسوا الحق بالباطل، ويفسرون الإسلام بتصرفات بعض المسلمين المخالفة له، ولو كان أهل هذه التصرفات أعداء للإسلام محاربين له.

ويشوه المستشرقون الإسلام في ساحات واسعة من أوروبا وفي قطاعات كبيرة أكثر من غيرهم، ومن وسائلهم في ذلك الإذاعة، والتلفاز، والصحف والمجلات والكتب، والمحاضرات، ومراكز البحث، والندوات والمؤتمرات..

- **الجهة الثانية**: المنصرون من القس وغيرهم، ولهم كذلك وسائلهم المتنوعة التي يشوهون عن طريقها الإسلام في كل مكان.

- **الجهة الثالثة**: دور التعليم من المدارس الابتدائية إلى المعاهد العليا والجامعات، عن طريق المناهج والمواد المقررة والكتب والمدرسين.. وقد حاول بعض المسلمين مع بعض المسؤولين في بعض الدول الأوربية، تصحيح ما في الكتب المدرسية من أكاذيب على الإسلام وتشويه له، وأظهروا احتجاجهم على ذلك، وكتبوا كل الأخطاء التي ظهرت لهم وسلموها لأولئك المسؤولين ووعدوهم بإعادة النظر فيها.

- **الجهة الرابعة**: التشويه المستمر الماكر المتعمد، من أجهزة الإعلام الغربية كلها يوميا، وهي لا تفتأ تقول للناس: إن كل المشكلات التي تنزل بالمسلمين، من خلافات وحروب وفقر وتأخر، إنما سببها الإسلام، يفعلون ذلك بأساليب خبيثة، فقد يتحدثون عن بعض موضوعات الإسلام، كالصلاة أو غيرها، ثم يعرضون صورة من صور المعارك بين إيران والعراق، أو صوراً لاحتفالات الشيعة بيوم عاشوراء، أو غير ذلك من المناظر المنفرة ليثبتوا في إذهان الناس أن هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون، وقد يجدون بعض الفسقة أو الملحدين أو العلمانيين من المنتسبين إلى الإسلام، فيعدون لهم برامج إعلامية يفسرون بها الإسلام بحسب أهوائهم، للقدح في هذا الدين، ونفي ما فيه من محاسن، وكثيرا ما يكون ذلك عن طريق الحوار الذي يجذب السامع ويجعله يخرج بنتيجة سيئة عن الإسلام والمسلمين، وبخاصة إذا كان الحوار عن طريق التلفاز، ولليهود دور كبير في تشويه صورة الإسلام عن طريق وسائل الإعلام.

وليس للمسلمين في مقابل ذلك أي وسيلة توصل حقائق الإسلام إلى الناس أو تدفع عنه تلك الأكاذيب!

- **الجهة الخامسة**: الدول الأوربية التي تدعم المستشرقين والمنصرين وكل الجهات السابقة وغيرها، بكل إمكاناتها لتشويه الإسلام والمسلمين والتنفير منه[1].

إن أي معوق من هذه المعوقات أو غيرها إنما مرده إلى أحد العناصر الآتية:

إما العالم الإسلامي، وإما الجاليات المسلمة، أو أنها معوقات متعلقة بالتصور الغربي للإسلام.

وبما أن المعوقات مردها إلى هذه العناصر فالحلول وجب أن تكون على مستوى علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي، فمستقبل الإسلام في الغرب يتوقف بالدرجة الأولى على مستقبل الإسلام والدعوة في البلاد الغربية.

إذن فدورنا في البلاد الإسلامية تجاه الدعوة والمسلمين في الغرب دور يقوم على دعم الأقليات المسلمة والرفع من معنوياتها، ومن هنا تأتي أهمية ربط جسر التعاون والحوار بين المسلمين في الغرب والمسلمين في الدول الإسلامية، وحد التعاون يمكن أن نوضحه بإيراد المثل التالي: التعاون مع المسلمين في الغرب لرد جميع المشاكل وجميع الشبهات التي مازالت تحاك اتجاه الإسلام، فيكون الترابط بينهما رباطا وثيقا سواء بين المنظمات أو بين الأفراد أو حتى الجمعيات الإسلامية.

أما الحلول المقدمة على مستوى وجود المسلمين في الغرب فهي: ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية، والبعد عن الصراعات المذهبية والتيارات السياسية، مع ضرورة فهم العقلية الغربية والتعامل معها، فلا يعقل أن يجهل المسلم نمط التفكير لدى الفرد الغربي، فالواجب تكوين دعاة عارفين بالنمط الغربي ومن الأحسن لو كان الدعاة في الغرب من أبناء الغرب ذاته لأن هذا من شأنه أن يختصر الطريق أمام الدعوة، فهم أعلم بالأساليب والمناهج اللائقة، وبأوضاع وأحوال مجتمعاتهم وأفراده، أضف إلى كل هذا وجوب تقديم صورة مشرقة عن الإسلام وهذا لا يتم إلا بإعادة الاعتبار للقدوة الحسنة، فهذا المنهج لا تكمن أهميته في إعادة التصور المشرق للإسلام فقط بل من شأنه أن يساعد دخول الغرب في الإسلام، كما تلح علينا الدعوة في الغرب دراسة الواقع الغربي دراسة دقيقة فتشخيص الداء نصف الدواء.

(1) د محمد عبدالله الأهدل - المسلمون في أوربا ومسئوليتنا عنهم. صـ٥٢ وما بعدها.

فهم يحرفون معانيه، ويشككون فيه ويتصيدون بعض المعلومات الدخيلة، في كتب التاريخ أو كتب التفسير المليئة بالإسرائيليات، ليلصقوها بالإسلام، ويتبعون المتشابه ويتركون المحكم، ليلبسوا الحق بالباطل، ويفسرون الإسلام بتصرفات بعض المسلمين المخالفة له، ولو كان أهل هذه التصرفات أعداء للإسلام محاربين له.

ويشوه المستشرقون الإسلام في ساحات واسعة من أوروبا وفي قطاعات كبيرة أكثر من غيرهم، ومن وسائلهم في ذلك الإذاعة، والتلفاز، والصحف والمجلات والكتب، والمحاضرات، ومراكز البحث، والندوات والمؤتمرات..

- **الجهة الثانية**: المنصرون من القس وغيرهم، ولهم كذلك وسائلهم المتنوعة التي يشوهون عن طريقها الإسلام في كل مكان.

- **الجهة الثالثة**: دور التعليم من المدارس الابتدائية إلى المعاهد العليا والجامعات، عن طريق المناهج والمواد المقررة والكتب والمدرسين.. وقد حاول بعض المسلمين مع بعض المسؤولين في بعض الدول الأوربية، تصحيح ما في الكتب المدرسية من أكاذيب على الإسلام وتشويه له، وأظهروا احتجاجهم على ذلك، وكتبوا كل الأخطاء التي ظهرت لهم وسلموها لأولئك المسؤولين ووعدوهم بإعادة النظر فيها.

- **الجهة الرابعة**: التشويه المستمر الماكر المتعمد، من أجهزة الإعلام الغربية كلها يوميا، وهي لا تفتأ تقول للناس: إن كل المشكلات التي تنزل بالمسلمين، من خلافات وحروب وفقر وتأخر، إنما سببها الإسلام، يفعلون ذلك بأساليب خبيثة، فقد يتحدثون عن بعض موضوعات الإسلام، كالصلاة أو غيرها، ثم يعرضون صورة من صور المعارك بين إيران والعراق، أو صوراً لاحتفالات الشيعة بيوم عاشوراء، أو غير ذلك من المناظر المنفرة ليثبتوا في إذهان الناس أن هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون، وقد يجدون بعض الفسقة أو الملحدين أو العلمانيين من المنتسبين إلى الإسلام، فيعدون لهم برامج إعلامية يفسرون بها الإسلام بحسب أهوائهم، للقدح في هذا الدين، ونفي ما فيه من محاسن، وكثيرا ما يكون ذلك عن طريق الحوار الذي يجذب السامع ويجعله يخرج بنتيجة سيئة عن الإسلام والمسلمين، وبخاصة إذا كان الحوار عن طريق التلفاز، ولليهود دور كبير في تشويه صورة الإسلام عن طريق وسائل الإعلام.

وليس للمسلمين في مقابل ذلك أي وسيلة توصل حقائق الإسلام إلى الناس أو تدفع عنه تلك الأكاذيب!

- **الجهة الخامسة**: الدول الأوربية التي تدعم المستشرقين والمنصرين وكل الجهات السابقة وغيرها، بكل إمكاناتها لتشويه الإسلام والمسلمين والتنفير منه[1].

إن أي معوق من هذه المعوقات أو غيرها إنما مرده إلى أحد العناصر الآتية:

إما العالم الإسلامي ، وإما الجاليات المسلمة ، أو أنها معوقات متعلقة بالتصور الغربي للإسلام .

وبما أن المعوقات مردها إلى هذه العناصر فالحلول وجب أن تكون على مستوى علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي ، فمستقبل الإسلام في الغرب يتوقف بالدرجة الأولى على مستقبل الإسلام والدعوة في البلاد الغربية .

إذن فدورنا في البلاد الإسلامية تجاه الدعوة والمسلمين في الغرب دور يقوم على دعم الأقليات المسلمة والرفع من معنوياتها، ومن هنا تأتي أهمية ربط جسر التعاون والحوار بين المسلمين في الغرب والمسلمين في الدول الإسلامية، وحد التعاون يمكن أن نوضحه بإيراد المثل التالي: التعاون مع المسلمين في الغرب لرد جميع المشاكل وجميع الشبهات التي مازالت تحاك اتجاه الإسلام، فيكون الترابط بينهما رباطا وثيقا سواء بين المنظمات أو بين الأفراد أو حتى الجمعيات الإسلامية.

أما الحلول المقدمة على مستوى وجود المسلمين في الغرب فهي: ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية، والبعد عن الصراعات المذهبية والتيارات السياسية، مع ضرورة فهم العقلية الغربية والتعامل معها، فلا يعقل أن يجهل المسلم نمط التفكير لدى الفرد الغربي، فالواجب تكوين دعاة عارفين بالنمط الغربي ومن الأحسن لو كان الدعاة في الغرب من أبناء الغرب ذاته لأن هذا من شأنه أن يختصر الطريق أمام الدعوة، فهم أعلم بالأساليب والمناهج اللائقة، وبأوضاع وأحوال مجتمعاتهم وأفراده، أضف إلى كل هذا وجوب تقديم صورة مشرقة عن الإسلام وهذا لا يتم إلا بإعادة الاعتبار للقدوة الحسنة، فهذا المنهج لا تكمن أهميته في إعادة التصور المشرق للإسلام فقط بل من شأنه أن يساعد دخول الغرب في الإسلام، كما تلح علينا الدعوة في الغرب دراسة الواقع الغربي دراسة دقيقة فتشخيص الداء نصف الدواء.

---

(1) د محمد عبدالله الأهدل - المسلمون في أوربا ومسئوليتنا عنهم . صـ٥٢ وما بعدها .

أما الحل المقدم للمشاكل المتعلقة بالوجود الإعلامي الغربي والمسؤولية الإعلامية الغربية على الإسلام فيتمثل الحل: في محاولة فتح نوافذ إعلامية تهتم بشؤون الأقليات المسلمة وتقوم بالتعريف الجيد بالدين الإسلامي بمختلف اللغات السائدة في المجتمع الغربي وهذا لتقريب الإسلام إلى المجتمع [1].

وبعد :

فهذه هي أهم المعوقات التي تعترض سبيل الدعوة داخلياً وخارجياً وتحول بين المصلحين وبين إعادة بناء هذه الأمة من جديد ، وهي عقبات ليست مستعصية على الحل وذلك إذا عرفنا هدفنا وغايتنا جيداً ، واتخذنا الطريق المناسب لذلك ، واتبعنا سنن الله في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير واتخذنا السياسة الشرعية التي سار فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد عرفوا غايتهم قبل أن يسيروا خطوة واحدة على الدرب ، عرفوا أن غايتهم هي عبادة الله الواحد لا شريك له، وتكوين أمة على هذه الغاية تقوم بأمر الله ، وتجاهد بسبيله، ومن ثم وحدوا كلمتهم ونسوا أحقادهم القديمة ، وتركوا كل ما تفتخر به الجاهلية من الأحساب والأنساب ، واعتصموا بحبل الله جميعاً وواسى كل فرد منهم أخاه ، وفداه بروحه ونفسه ثم عرفوا من هم أعداؤهم على الحقيقة واتخذوا السياسة الشرعية في حرب هؤلاء الأعداء ، ولم يحاربوهم جميعاً دفعة واحدة ، وإنما حاربوا من حاربهم واعتدى عليهم ، حتى قويت شوكتهم وعظم أمرهم وأقاموا أعظم أمة عرفتها الأرض وشهدتها الجزيرة العربية ، ثم توجهوا بعد ذلك خارج هذه الجزيرة ينشدون الخير للناس جميعاً والهداية للبشر كلهم فأعلوا كلمة الله في الأرض ، ونشروا الإسلام في العالمين ، وحافظوا في كل ذلك على نقاء عقيدتهم ونظافة فكرهم ، وأقاموا بعد ذلك المجتمع الكامل الذي يعلو فيه الخير ، ويقل فيه الشر ، وكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس ، واليوم نحن مطالبون أن نقتفي أثرهم ، ونتبع سبيلهم متوكلين في كل ذلك على الله وحده سبحانه وتعالى الذي تكفل لكل مجاهد في سبيله أن يهديه السبيل وينير له الدرب كما قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [2].

فلنكن كما كان سلفنا الصالح ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [3].

---

(1) موقع الشهاب للإعلام – شبكة الأنترنت .

(2) سورة العنكبوت الآية رقم : ٦٩ .

(3) سورة الحج الآية رقم : ٤٠ .

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة عن معوقات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر وسبل مواجهتها أقوم باستخلاص أهم النتائج التي انتهيت إليها من خلال هذا البحث والتي تتمثل فيما يلي :

١- أن المقصود بمعوقات الدعوة : مجموعة الأخطاء والعقبات التي يقع فيها الدعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية ، وتشكل عقبة أو مشكلة في طريقهم سواء أكانت هذه الأخطاء والعقبات في جانب المفاهيم الدعوية ، أم في جانب المناهج والأساليب والوسائل .

٢- أن تلك العقبات والصعوبات التي توجد في طريق الدعوة سنة كونية ، أرادها الله تعالى ليمحص المؤمنين وليعلم المنافقين ، ويميز الغث من السمين ، والعقبات في طريق الدعوة دليل على صحة المسيرة وسلامة الخطة ، فهي لازمة من لوازم كل دعوة صحيحة ، ولا يخلو منها إلا الدعوات الدعية والحركات المشبوهة .

٣- أنه من التفريط أن تُهمل المشكلات والعقبات الدعوية ، ويُتجاهل أمرها حتى تستفحل ويصعب علاجها ، كما أن من الإفراط أن تُضخم الأخطاء والمشكلات ، وتصور بالعقبة الكؤود التي يُعجزُ الناس حلُّها وتصحيحها ، فتوقع الناس في اليأس والقنوط فإنه ما من داءٍ إلاّ وأنزل الله له دواء ، فعلى الدعاة أن يجتهدوا في معرفة الداء وتشخيصه ويبذلوا وسعهم في علاجه واختيار الدواء المناسب له ، فالأمر كله بيد الله ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [1]

٤- أن دعوة الناس إلى التوحيد دعوة يسيرة بسيطة في حقيقتها، ولكن كائنات الظلام التي ترتعد فَرَقاً من أي شعاع من نور الحق لا تَمنأ ما لم تضع المعوقات والعراقيل في طريق الدعاة ، لذا كان من الضروري تنبيه الدعاة إلى الله تعالى إلى وجود هذه المعوقات حتى يتم التعامل معها بما يكون أرجى لنجاح الدعوة وتبليغ الرسالة .

٥- أن معرفة المعوقات ومدارستها هي الطريقُ لتحقيق النصر، حيث إنه لا يكفي لقيام أمر ما أن تتحقق موجباتُه بل لابد أن تنتفي معوقاتُه.

٦- إن تخلف المسلمين يأتي على رأس الأسباب التي تعوق انتشار الإسلام إذ

---

(1) سورة العنكبوت ،آية رقم٦٩ .

يشكل تخلفهم مرآة مشوهة لا تعكس أنوار الإسلام بل تعكس ظلمات المسلمين ، فالإسلام محجوب بأهله ، وكما فتننا الغربيون ببريق حضارتهم فتناهم بظلام تخلفنا !

٧- الدعوة إلى الله واجب عام، ومسئولية الوفاء به في أعناق المسلمين جميعاً، وهي مسؤولية يجب للوفاء بها ومتطلباتها الشاملة توفير ما يلزم من مال ينفق منه على ما تقتضيه مجالاتها المتعددة من إعداد للدعاة، وتهيئة للوسائل الضرورية من كل ما هو لازم لتوصيل دعوة الحق إلى الناس داخل بلاد المسلمين وخارجها على السواء، فالدعوة إلى الإسلام لا يجوز الوقوف بها عند حدود عالمنا الإسلامي، بل يجب أن تصل هذه الدعوة وتبلغ إلى كل ما طلعت عليه الشمس، وكل ما دخل عليه الليل .

٨- أن قصور التمويل عن الوفاء بمتطلبات الدعوة وأجهزتها، وفاء يمكنها من أن تصمد في معركة الصراع، وتطور من أسلحتها ووسائلها، وتكيف نفسها بالأساليب الملائمة في حرب المواجهة الفكرية والمذهبية، جعلها كالحمائم بين النسور..

٩- أن مقارنة بسيطة بين الفاتيكان وحده بإمكاناته وطاقاته وسلطانه على الشعوب والحكومات المسيحية في العالم الغربي ، وبين أجهزة الدعوة مجتمعة في عالمنا الإسلامي تكشف لنا وتجسد ما تعانيه الدعوة الإسلامية ، وتهيب بنا جميعا أن نبحث عن مخرج لانتشالها من مأزقها .

١٠ - إن تمويل الدعوة تمويلا يمكنها من الانطلاق دون معوقات هو أول ما يجب التركيز عليه واتخاذ قرار بشأنه ، حتى لا يتحول الحديث والحوار إلى مجرد أفكار ونظريات لا تجد لها طريقا لأن توضع موضع التطبيق والتنفيذ .

١١- من أهم العوامل التي كانت ولا تزال سبباً في تعثر الدعوة الإسلامية ، الخلافات الفرعية الجدلية بين الدعاة أنفسهم ، وذلك أننا نرى في ساحة العمل الإسلامي من الجماعات من يضيعون طاقتهم في مواجهة كل جماعة للأخرى ، وقد يكون الخلاف فيها على فروع أو على طريقة الدعوة ، مع أن الواجب يقتضي أن ينظر الدعاة إلى الإسلام ذاته ، لا إلى مؤسساتهم ، وأن يتعاون العاملون بهذه المؤسسات بعضهم مع بعض على العمل النافع ، وأن يتركوا الخلافات الصغيرة التي تؤثر على مسيرة الدعوة الإسلامية .

١٢- لابد من توفير مناخ صالح تنطلق فيه الدعوة إلى الله خالصة من كل قيد، متجردة من كل غاية إلا غاية وحيدة هي - هداية الخلق إلى صراط الله المستقيم ، ومعناه - أن ترفع عن أجهزة الدعوة في كل بلاد المسلمين أثقال أجهزة السلطة التي تمنعها حرية الكلمة، وتوجهها في كثير من الأحيان لتتحول من دعوة إلى الله تعالى ، إلى بوق من أبواق الدعاية أو وسيلة من وسائل الإعلام ، أو تجمد حركتها بحيث تصبح مجرد وظيفة اجتماعية تتيح لصاحبها موردا للرزق يصبح الحصول عليه هو الغاية الأخيرة .

إن مناخ الدعوة حينما يكون ملائماً يتيح لها من الحرية والانطلاق ما هو شرط ضروري لازدهارها وإيجابيتها ، وحينما يكون هذا المناخ غير مُوات بما يسوده من كبت وتقييد تفقد الدعوة أول شرط لحياتها، وتصبح مختنقة محبوسة الأنفاس .

١٣- إن شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل والفكرة عن التطبيق عند كثير من الدعاة شوَّه كمال الدعوة وجمالها عند العامة، وأفقدها مصداقيتها عند كثير من المدعوين ، فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله، ولا يستقيم سلوكه مع قوله.

١٤- إن هدف عدونا ذوبان الشخصية الإسلامية وذلك بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها بأخلاق الضعف والإنحلال والإباحية حتى لا تقوى على مواجهة التحديات وذلك أخطر أهداف العدو، فبناء أجيال ضعيفة لا تؤمن بحقها ولا تؤمن بربها ولا تستطيع أن تصمد أمام الخطر وأمام التحدي ، هو ما يسعى إليه الأعداء بكل الوسائل .

١٥- أن الجمعيات الخيرية الإسلامية تعرضت محليا وإقليميا وعالميا لحرب شرسة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد الهجوم الذي تعرضت له في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م - مع أنها أوضح وسائل المجتمع المدني الذي ينادون به في الدول الإسلامية - ووصفتها بالإرهاب دون تقديم أي أدلة يمكن الاعتماد عليها سوى تخرصات وأوهام مدعومة بالكامل بآلة القدرة على تجميد الأموال المودعة لدى البنوك الأمريكية والبنوك العالمية ، و لا تزال تلك الهجمة قائمة حتى الآن ، كما تنادت جهات دولية عديدة وتحت دعوى تجفيف منابع الإرهاب إلى اتهام هذه الجمعيات الإسلامية الخيرية أيضاً بالإرهاب ، وحمل الإعلام الأوروبي والأمريكي على هذه الجمعيات التي تقدم الدعم والمساندة المادية للمسلمين في الملمات والكوارث وتنتشر أعمالها فيما يقارب ١٠٠ دولة من دول العالم .

١٦- إن صراع الإسلام والكفر، هو صراع الحق والباطل، وقد تحول اليوم من صراع المواجهة الميدانية في معظمه إلى صراع الكلمة والمعلومات عن طريق هذه الوسائل التي تمكن من مخاطبة عدة مليارات من الناس في أقل وقت ممكن، وبشتى وسائل الإقناع.

١٧- إن الدعوة الإسلامية مستهدفة من قبل أعدائها الذين لا يتفقون على شيء قدر اتفاقهم على القضاء على الإسلام، كما قال تعالى: " وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا "[1].

(1) سورة البقرة، من الآية رقم ٢١٧.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة:

١- الأحاديث المختارة - أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي - - تحقيق عبدالملك دهيش - مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة - الطبعة الأولى.

٢- سنن أبي داود - الإمام أبو داود السجستاني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - طبعة دار الفكر.

٣- سنن النسائي الكبرى- الإمام النسائي - تحقيق د /عبدالغفار البنداري - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى.

٤- صحيح البخاري- الإمام البخاري - تحقيق د مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير اليمامة بيروت - الطبعة الثالثة.

٥- صحيح ابن حبان- الإمام ابن حبان - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية-- ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م

٦- صحيح مسلم - الإمام مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧- فتح الباري - الحافظ ابن حجر العسقلاني- دار المعرفة بيروت.

٨- فيض القدير - الإمام عبدالرؤف المناوي- المكتبة التجارية الكبرى. الطبعة الأولى.

٩- كنز العمال - الإمام علاء الدين الهندي - تحقيق محمود الدمياطي - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

١٠- مسند الإمام أحمد- الإمام أحمد بن حنبل - ط. مؤسسة قرطبة مصر.

١١- مشكاة المصابيح - محمد بن عبدالله الخيب التبريزي - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٨٥ م.

١٢- المعجم الأوسط - الإمام الطبراني - تحقيق طارق بن عوض الله - دار الحرمين القاهرة - ١٤١٥ هـ.

ثالثاً: مراجع عامة.

١٣- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د/ علي جريشة - والأستاذ / محمد شريف الزيبق - دار الاعتصام - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٤- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - الإمام محمد عبده - مكتبة محمد علي صبيح ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.

١٥- الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٦- أمريكا ونحن .. والعمل الخيري - إحصائيات وأرقام - أفكار وتوصيات - إعداد مهندس / محمد أحمد حبيب - جريدة المدينة - ملحق الرسالة - الاثنين ١٤/ذي القعدة /١٤٢٢هـ

١٧- الإسلام على مفترق الطرق- الأستاذ محمد أسد - ترجمة وتحقيق عمر فروخ - دار العلم للملايين تاريخ النشر: ١ / ١ / ١٩٨٧ م.

١٨- أضواء على الصهيونية - الأستاذ / مصطفى السعدني- ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

١٩- البداية والنهاية- الحافظ ابن كثير- مكتبة المعارف - بيروت.

٢٠- تقنين الدعوة، مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس - ط دار المجتمع للنشر والتوزيع.

٢١- التبشير والاستعمار - الأستاذ عمر فروخ / الطبعة الرابعة.

٢٢- جذور البلاء - عبدالله التل- ط المكتب الإسلامي.

٢٣- حلية الأولياء – الإمام أبونعيم الأصفهاني – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة .
٢٤- خواطر على طريق الدعوة – محمد حسان – دار المسلم .
٢٥- الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي – إسماعيل الكيلاني – الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر تاريخ النشر: ١ /١ /١٩٩٤ .
٢٦- الدعوة والدعاة في العصر الحديث ، د/ محمد إبراهيم الجيوشي – مطبعة الحسين الإسلامية .
٢٧- ربحت محمداً ولم أخسر المسيح – د /عبد المعطي الدالاتي – ط مؤسسة الرسالة – دمشق – سوريا .
٢٨- الرجل الصنم – مؤسسة الرسالة .
٢٩- السيرة النبوية – الإمام ابن هشام – دار الجيل بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – تحقيق طه عبدالرؤف سعد .
٣٠- سير أعلام النبلاء- الإمام شمس الدين الذهبي – ط. دار الفكر . بيروت .
٣١- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث – الشيخ محمد الغزالي – مكتبة الأسرة .
٣٢- شبهات التغريب، أنور الجندي المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ .
٣٣- شرح العقيدة الطحاوية – الإمام ابن أبي العز الحنفي – المكتب الإسلامي بيروت – الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ .
٣٤- شرح جوامع الأخبار – السعدي – ضمن المجموعة الكاملة.
٣٥- صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د / محمد الشبيني ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٣٦- عقبات في طريق الدعاة – عبد الله علوان – ط. دار السلام .
٣٧- العرب والتاريخ – برنارد لويس – دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٥٤م .
٣٨- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها- د / إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٣٩- العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التيميم، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١م .
٤٠- العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية – د/ خالد بن عبد الله القاسم- رسالة دكتوراة – غير منشورة،

جامعة أم القرى، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.
٤١- غزو في الصميم- عبد الرحمن الميداني- دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية،١٤٠٥هـ.
٤٢- الغارة على العالم الإسلامي – ا . ل شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب مساعد اليافي .
٤٣- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير – مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثالثة – تحقيق عبدالرحمن النجدي .
٤٤- مختصر منهاج القاصدين – الإمام أحمد بن محمد المقدسي – دار بدر – القاهرة .
٤٥- المدخل إلى علم الدعوة – محمد أبوالفتح البيانوني- مؤسسة الرسالة
٤٦- مشكلات الدعوة والداعية – فتحي يكن- مؤسسة الرسالة .
٤٧- من فقه الدعوة – الأستاذ مصطفى مشهور- دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٤٨- منهاج السنة النبوية- الإمام ابن تيمية – مؤسسة قرطبة – الطبعة الأولى- ١٤٠٦ هـ .
٤٩- نحو ثقافة إسلامية أصيلة – د /عمر سليمان الأشقر- دار النفائس، عمان- الأردن، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

رابعاً : المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية :-

٥٠- جريدة عكاظ ليوم ١٤٢٢/١١/٢٩) .
٥١- جريدة "المسلمون" العدد الحادى والثلاثون .
٥٢- مجلة الأسرة العدد ١٠٢.
٥٣- مجلة دار إسلام العددان ١١ – ١٢ السنة الرابعة – شباط ١٩٩٦م /شعبان ١٤١٦
٥٤- مجلة المجتمع – العدد رقم ١٧٣٩ الصادر في : ٢/١٧ / ٢٠٠٧ م .
٥٥- مجلة منار الإسلام – العدد السادس والسابع – السنة التاسعة – جمادى الآخر ١٤٠٤هـ.
٥٦- منشورات دار الهلال، فبراير ٢٠٠١م
٥٧- منتديات عبرة العربية على شبكة الأنترنت .
٥٨- موقع الدكتور محمد الحضيف .
٥٩- موقع لها أون لاين –على شبكة الأنترنت .
٦٠- موقع نور الإسلام على شبكة الأنترنت .